

سنة ثمان عشرة والـف فاسف الناس عليه لآته كان يرده عن كثير من القبائع
وينهاه عن فعل المناكر ولا يرضى منه افعاله الخيثة والحول والقوة بالله والامر
الى الله

ذكر الخبر عن السلطان الشيخ بن المنصور

وما وقع الى حين خلعه وقتله

كان من خبر الشيخ ما انتهى ذكرنا له قبل وانه هرب الى العرائش ومنها
توجه الى العدو من ارض العدو مستصرخاً بطاغية الروم دمره الله فاني
ان يمدد فراوده على ان يترك عنده اولاده وحشمه رهناً ويعينه بالمال والرجال
قلم يكثرث به الى ان شرط عليه ان يحل العرائش من المسلمين ويملكها للنصارى
فقبل الشيخ ذلك والتزمه وخرج حتى نزل حجر بادس وذلك في ذي الحجة
عام ثمانية عشر والـف فاقام بها مدة وكان الشيخ لما خرج في حجر بادس
ونزل بلاد الريف ذهب علماء فاس واعيانها كالفقيه القاضي ابي القاسم بن ابي
النعم والشريف الوجيه المنيـف التزيه ابي اسحاق ابراهيم السقلى الحسنى وغيرها
لملاقاته وتهنئته بالقدوم فلما بلغوه فرح بهم وامر قطان النصارى ان يضرب
بانفاضة ارهاباً واضهاراً لقوة النصارى الذين استصرخ بهم فضربها حتى اصطكت
الاذان وارتحبت الجبال ونزل القبطان من السفينة للسلام على الاعيان فلما
راوه مقبلاً امرهم الشيخ بالقيام له فقاموا له اجمعون وجازوه خيراً على ما
فعل بالشيخ من الاحسان والنصرة وسلم هو عليهم بنزع قانسوته كعادة
النصارى وانكر الناس على اولئك الاعيان قيامهم للكافر وضربوا بعضا الذل
والهوان من الملك الديان حتى اتهم في رجوعهم لفاس تعرض لهم عرب
الحياينة فسلبوهـم واخذوا ما معهم وجردوهم من ملابسهم جميعاً ما عدى

القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم فإنه عرف بزيّ القضاء فاحترموه ثمّ انّ الشيخ انتقل لقصر عبد الكريم فأقام به مدّة وراود روساءه وقواد جيشه ان يقفوا معه في تمكين العرائش لنصارى ليني له الطاغية بما وعده من النصرة بالمال والرجال فامتنع الناس من اسعافه على ذلك ولم يوافقوه على غرضه احد الاّ قائده الجرنى فإنه ساعده على ذلك فبعثه الشيخ لها وامره ان يخليها ولا يدع احداً بها من المسلمين فذهب الجرنى فكلّم اهلها في ذلك فامتنعوا من الجلاء عنها فقتل منهم عدّة وخرج منها الباقيون تحفّق على رؤسهم الوية الذلّ والصغار وهم يكون ولّا خرج منها المسلمون اقام بها القائد الجرنى الى ان احتلّ بها النصارى وذلك في رابع رمضان المعظم عام تسعة عشر و الف ووقع في قلوب المسلمين من الامتناع من اخذ العرائش امر عظيم وانكروا ذلك اشدّ الانكار وقام الشريف احمد ادريس الحسنى ودار على مجالس العلم ونادى بالجهاد والخروج لاغاثة المسلمين بالعرائش فانضاف له اقوام وعزموا على التوجه لذلك فبعث في عضدهم قائده حمّ المعروف بابي ديرة وصرف وجوههم عمّا قصدوه في حكاية طويلة وكان الشيخ لما خاف من الفضيحة وانكار العامة والخاصة عليه اعطاؤه العرائش بلاد الاسلام للكفار احتال على ذلك بان كتب سؤالاً لعلماء فاس وغيرها يذكر لهم فيه أنّه لما غلّ ببلاد العدو الكافر واقتحمها كرهاً باولاده وحشمه منعه النصارى من الخروج من بلادهم بعد ان دخلها حتّى يعطيهم بلاد العرائش وإنّه ما تركوه خرج بنفسه حتّى ترك عندهم اولادهم رهناً حتّى يمكنهم تما ارادوه فهل يجوز ان يفدي اولاده من ايديهم باعطائها لهم ام لا فأجابوه بان فداء المسلمين سيّما اولاد امير المؤمنين سيّما اولاد سيّد المرسلين وخاتم النبيّين سيّدنا ومولانا محمّد صلى الله عليه وسلم من يد العدو الكافر باعطاء بلد من بلاد المسلمين للعدوّ جائز وأنا موافقون على ذلك . ووقع هذا الاستفتاء بعد ان وقع الاعطاء وما اجاب به من اجاب من العلماء عن ذلك الاّ خوفاً على نفسه وقد هرب جماعة من الفتوى كالامام

ابي عبد الله محمد الجبان صاحب الطرر الشهيرة على المختصر وكالامام ابي
العباس احمد المقرئ مؤلف نفح الطيب فاختفيا مدة مديدة استبراء لدينهما حتى
صدرت الفتوى من غيرها وبسبب هذا الفتوى ايضاً هرب جماعة من علماء
فاس نلبوادي كالامام سيدي الحسن الزيتي شارح الجمل والامام الحافظ ابي
العباس احمد بن يوسف الفاسي وغيرها والحول والقوة بالله ثم ان الشيخ نزل
بالفحص واجتمع عليه الناس من اهل الدعارة والفساد والعتو والعناد فعتى في
البلاد على عادته ورحل لتطاون فاخذها وخرج منها المقدم احمد النفيس
هارباً ولم يزل يحول في بلاد الفحص الى ان تملا اشياخ الفحص على قتله لما
راوا من انحلال عقده ورقة ديانتة وتمليكه بلاد الاسلام للكفار فقتله المقدم
محمد ابو الليف غدرأ بمحلته بموضع يعرف بفجّ الفرس وبقي مطروحاً مكشوف
العورة اياماً حتى خرج جماعة من تطاون فحملوه ودفنوه مع من قتل من
اصحابه كالديرين وبعض اولاده خارج تطاون الى ان حملا لفاس الجديد مع امه
فدفا به وكان قتله خامس رجب سنة اثنين وعشرين والفي ويقال ان قتله كان
باشارة النائر ابي العباس احمد بن عبد الله المعروف بابي محلي وانه كتب للمقدم
احمد النفيس والمقدم محمد ابي الليف يحضهما على قتله فقتلوه وانتهبوا ماله وكان
له مال معتبر ومن جملة ما نهب له نحو مدين من الياقوت وباقي ماله وسق
سفينة تركه بطنجة فاستولى عليه النصاري لما قتل بجري القدر المحتوم وكان
الشيخ عفا الله عنا وعنه له مشاركة في العلوم ويد في مبادي الطلب اخذ عن
اشياخ الحضرتين ومن شعره ما رايت بخط بعض الافاضل مغزواً اليه لغز في
قول ابن مالك في الالفية ينصب تميزاً

اسائل قراء الخلاصة كلهم عن امر غريب قد بدا لي اذا قرى

على الحال وهو اسم بدا لي نصبه الا فهو تميز فذا اعجب الامر

ومن كتابه الاديب الفقيه المشارك المتفنن ابو العباس احمد بن محمد ابن القاضي

محمد الغرديس التغلبي وكان من الاجادة والتبريز في صناعة الانشاء قال الشيخ
سيدي العربي الفاسي في شرحه لدلائل الحيرات عند قوله كان لي جار نسخ
ما نصه وقد كان الشيخ الكاتب الرايس ابو العباس احمد بن محمد الغرديس
شيخ كتاب الانشاء بحضرة فاس آمنها الله استعار مني كتاب الانباء في شرح
الاسماء للاقليشي ثم مرض مرض موته فعدته فوجدت الكتاب عند راسه ومعه
كراريس منسوخة واخرى معدة للنسخ فقال لي اذا وجدت راحة كتبت
منه ما قدرت عليه فاذا غلبني ما بي امسكت فقلت ولم تكلف نفسك بذلك فقال
لي ابي عصيت الله بهذه الاصابع ما لا احصيه فرجوت ان يكون ما اعانيه على
هذه الحالة من نسخ هذا الكتاب خاتمة لعملي بها وكفارة لذلك قال فكمثل
الله قصده وتم الكتاب وتوفى رحمه الله من مرضه ذلك وقد طال به من عام
تسعة عشر الى عام عشرين والف وعلى كل حال فالنسخ من الحرف المهمات
والاشغال العلميات . وله يقول الشاعر

تمت يا غرديس والدهم راقد وانت بفاس وابن جبور واجد
لسعدك راحت خير ان لقبرها مصائب قوم عند قوم فوائد

ذكر الخبر عن اولية الثائر الفقيه القائم ابي العباس احمد بن عبد الله
المعروف بابي محلي وما كان من امره وانتهاه بقتله

قال هو في كتابه اصليت الحرث في قطع علوم الغرث كانت ولادتي
بسجلماسة عام سبعة بموحدة وستين وتسعمائة والذي تلقته من ابي وكافة
عمومي ان اولاد ابي محلي من ذرية السيد العباس بن عبد المطلب رضى الله
عنه وذكر لي بعض قواد ابي العباس المنصور ان بعض خواص المنصور ذكر له

ان بيده كتاباً في الانساب نصّ فيه على ذلك وقد لقيت طالباً لا اهتمه بالكذب كما لا ابريه من الغلط ذكر لي أنّه كان بيده كتاب في الانساب نقل فيه ان قيلت اولاد ابي محلى منسوبة فيه الى عبد الله ابن جعفر وانهم خرجوا من مكناسة لسجلماسة بقصد تعليم الناس الدين والعلم ولهم اخوة بناحية تلمسان يقال لهم مكناسة فسأله الكتاب فقال لي أنّه احترق في منزله وما كذبه ولكن خفت عليه من الغلط في عبد الله بن جعفر بابي جعفر المنصور العبّاسي وقد قال لي استاذي وهو ابو العبّاس سيدي احمد بن ابي القاسم الصومعيّ التادليّ قد طالعت مختصر الذيل لابن السمعانيّ عام واحد وثمانين وانه راه بمراكش فذكر فيه في اولاد ابي محلى وجهين اما مغراوة واما متونة وقد يقال يمكن الجمع بينهما لان مغراوة قالوا اصلهم من قيس غيلان وقيس من مضر وهم العرب العاربة اي القديمة قال واما جدنا الاشهر المكنيّ بابي محلى بفتح الميم والحاء واللام المكسورة المشددة بعدها ياء تحيّة ساكنة مع كبير شهرته لا علم لي بسبب تكنيته بذلك ولا بتفاصيل احواله وعن ذلك كلّ كان يحثي الحثيث كما كتبت فيه كما مرّ للنسابة وقته الشيخ التادليّ رحمه الله قال وبخطه القضاء اشتهر نسبنا في بلادنا فنعرف باولاد القاضي وزاويتنا بزاوية القاضي ولم تزل بقية العلم في دورنا وخصوصاً دار ابي في اخوتي وبنيه فلما نشأت في حجر والدي بذل مجهوده في تعليمي وقد رات أمي وهي حامل بي ولياً من اولياء الله تعالى احد شيوخ التربية ببلدنا وهو سيدي عليّ بن عبد الله قد سقاها قدحاً من لبن وارجو الله سبحانه وتعالى صدق تاويلها بالعلم والدين وحقّ اليقين وكان خروجي لطلب العلم بفاس في حدود سنة ثمانين وتسعمائة وانا يومئذ مراهق او بالغ لاهمة لي الآ في العلم ولا شغل لي الا بالحفظ والفهم فاقت بفاس كذلك اربع سنين او خمساً الى ان جاء النصارى لوادي المخازن كما ذكرنا قبل فدهش الناس واستشرت من الطلبة اخاً صالحاً فدلتني على الخروج للبادية حتى ينجلي نهار الامن والعافية فخرجت الى بادية العسل والسمن وهي اجديجرة

فحفظت فيها الرسالة وقد كنت ما حصلت بفاس الآ نحواً ولا نزعت من يره الآ
 دلواً ثم رجعت لفاس بعد ان زال اندهش بولاية المنصور وهزيمة النصارى
 والنحو صنعتى وفي الفقه رغبتي احاولة حفظاً واقدمه لفظاً وقد كنت في الحرجة
 الاولى للبادية زرت قبر الشيخ المستجاب عنده الدعاء ابي يعزى فطلبت الله
 عنده ان اكون من الراسخين في العلوم باسرها وتوبة منى يتقلها فما دار على
 حول الآ وانا بزواية الشيخ سيدي محمد بن مبارك الزعري لا عن قصد لكوني
 اذاك مولعاً بالعلم وطريق الفقر لا تخطر ببالي لان المعتمد يومئذ في الفقراء
 خلاف الظن فكنت اشد الناس حذراً منهم الى ان انكشف الستر وانحسر فرايت
 ما رايت الى ان وعيت فصاحبت شيخى الذي لولا هو من فضل الله لهلكت ولولا
 هدايته باذن الله لضللت وكيف لا وهو الذي انقذني الله به من بحر هواي
 المضل ودلني به عليه برحمته في اصحاب الصراط السوي ابي عبد الله سيدي محمد
 بن مبارك الزعري الثقيل الجراري السيل وفي القرون عاشري الحيل وهو
 رضى الله عنه من قبيلة عرب بالمغرب يقال لهم زعير بصيغة التصغير والنسب
 اليه على التكبير وقد سمعت من شيخ مسن في القبيلة المذكورة يذكر ان سبب
 تسمية جدّهم بزُعير انه كان يحرق على جبل وفرس معاً فقال للاول في
 زجره زع لانها كلمة تساق بها الابل وقال للثاني وهو الفرس ري بكسر الراء
 كما ان زع بفتح الزاى لانها كلمة تساق بها الحيل وتزجر فلما نطق بهما معاً
 لقب بهما ثم غلب على السنة العامة اليوم تصغير زعير قال الشيخ المذكور وكان اسم
 الزعري قبل ذلك سليمان ثم غلب لقبه على اسمه وزعم مع ذلك انه اخو بربرش
 واشبان تنسب لكل واحد منهم الى الان قبائل شتى من عرب سوس بالمغرب
 الاقصى فبقيت في صحبة شيخى المذكور نحواً من ثمانية عشر عاماً وما فارقه
 بالرسوم الا عن امره اذ هو الذي وجهني لبلاد سجلماسة من غير اختيار
 قائلاً لي ان صلاحهم فيك ثم تناولني عصاه وبرنسه ونعله من غير طلب منى لشيء
 من ذلك وجعل في راسي قلنسوة كالخرقة بيده التني عند الوداع فلما استوطنت

بلادي عن امره زرتة منها نحواً من اثني عشر مرة وفي الاخيرة منها عند مقفلي من الحجّة الاولى التي في حياته السعيدة وذلك عام اثنين بعد الالف دعا لي بقوله بلاك الله أكثر مما بلاني فتأولته باقبال الخلق على كما تري وقد صاح عندها صيحة عظيمة وما كانت من عادته وما رايت منه مثلها منذ صحبته لطمانيته ولما توفّي آيدّه الله وقدّسه بقيت نحواً من ثلاث سنين عاطلاً ثمّ تجلّى التجريد بنور لطائفه الموعود بها فله الحمد على ما اسدى وله الشكر فيما اهدى ثمّ ذكر بقية اشياخه كالمنجور وسيدى احمد بابا السوداني وغيرهم ممن يطول بنا تتبعه قال ثمّ كملت الفائدة بعد المقفل من الحجّ فلما اطلّنى شهر رجب من عام واحد او اثنين والّف اجتمعت بالالف الصديق الثقي ابي يحيى الفاسي وكذلك البدخشي من بخارى على نجة ابن حجر ثمّ رجعت لزيارة الديار الغربيّة الى وادي الساوره ثمّ تحولت بجميع عيالي للوادي المذكور هذه ملخصة أوّلته رحمه الله من كتابه المذكور وهو كتاب مفيد وقفت عليه في مجلّد ومنه انتقينا هذه العجالة والله وليّ التوفيق والهادي لأقوم طريق

ذكر الخبر عن استحالة دلوه غرقاً

وملئه الدنيا عياطاً شرقاً وغرباً

قال الشيخ الفقيه ابو العباس احمد التواتي رحمه الله في رسالته التي سماها مقام التجلّي والتخلّي من صحبة الشيخ ابي محمّد وهي رسالة طويلة مسجعة وقفت عليها بخط مؤلفها ما نصّه كان الفقيه ابو العباس احمد بن عبد الله ابو محمّد في أوّل امره فقيهاً صرفاً ثمّ أنّه اتّخى طريق التصوّف مدّة حتّى وقع على بعض الاحوال الرّبانيّة ولاحت عليه مخائل الولاية الرحانيّة فأنحسر الناس لزيارته افواجاً وقصدوه فرادى وازواجاً وبعد في البلاد صيته وكثرت اتباعه قال

فلما سمعت بذلك ذهبت اليه وجلست عنده مدة الى ان وجدته يشير الى نفسه بأنه المهديّ المعلوم المبشر به في صحيح الاحاديث فتركته وراءه ونبذته بالعراء . وذكر ابو عليّ اليوسّي في المحاضرات انّ ابا العباس احمد ابا محلي كان ذات يوم عند استاذه ابن المبارك قبل ذلك فورد عليه واراد حال فتحرّك وجعل يقول انا سلطان انا سلطان فقال له الاستاذ يا احمد هب اناك سلطان اناك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولاً وفي يوم اخر وقع للفقراء سماع فتحرّك وجعل يقول انا سلطان فتحرّك فقير اخر في ناحية وجعل يقول ثلاث سنين غير ربع فكان الامر كذلك . ويذكر أنّه لما طاف بالبيت في وجهته الحجازيّة سمع وهو يقول يا ربّ انت قلت وقولك الحق وتلك الايام نداولها بين الناس فاجعل لي يا ربّ دولة بينهم ولم يسال حسن العاقبة فرزق الدولة قال به الحال الى ما ابرمته الاقدار وكان فقيراً جليلاً له قلم بليغ ونفس عالية وله تأليف منها الواح والفسطاس والاصليت ومنجنيق والصخور في الردّ على اهل الفجور رايته بخطّه وجواب الخروبيّ على رسالته الشهيرة لابي عمر المراكشي وغير ذلك وله شعر وسط وسوّلت له نفسه أنّه يقدر على القيام بوظيفة تغيير المنكر فاصيبت مقاتله من ذلك وهو لا يدري وقال شيخ شيوخنا ابو عليّ اليوسّي رحمه الله في المحاضرات له كان ابو محلي المذكور مصاحباً لابن المبارك التستاق في الطريق حتّى حصل له منها نصيب من الذوق والّف فيها كتباً تدلّ على ذلك ثمّ نزعت به هذه النزغة فخذّثوا عنه أنّه في أوّل امره معاشراً لابن ابي بكر الدلائيّ وكان البلد اذّاك قد كثرت فيه المناكر وشاعت وفشا المنكر في الوقت فقال احمد بن عبد الله لابن ابي بكر ذات ليلة هل لك في ان تخرج غداً الى الناس فامر بالمعروف ونهى عن المنكر ونكون قد قدمنا بوظيفة تغيير المنكرات فانّها قد شاعت وفشت فابني عليه ابن ابي بكر ولم يساعفه لما راي من تعدّد ذلك لفساد الوقت وتفاسم الشرّ وقال له انّ شروط تغيير المنكر لم تتوفّر فلما اصبحا خرجا فاما ابن ابي بكر فانطلق ذاهباً الى ناحية النهر

يغسل ثيابه وازال شعثه بالخلق وعمر اوقاته باوراده وادى صلواته في اوقاتها واما ابن ابي محلى فتقدم لما هم به من الحسبة فوقع في شر وخضام وافضى به الحال واداه الى اخراج الصلاة عن الوقت ولم يحصل على طائل فلما رجعا بعد المغرب الى ماواهما واجتمعا بالليل قال له ابن ابي بكر اما انا فقد قضيت مثاري وحفظت واديت صلاتي في وقتها وانقلبت في سلامة وعافية وصفاء ومن اتى منكراً فالله حسيبه او نحو هذا من الكلام واما انت فانظر ما الذي وقعت فيه ثم لم يته عن ذلك ولم يلبث الى ان ذهب الى بلاد وادي الساوره من بلاد القبلة ودعا لنفسه واظهر انه ما حمله على ذلك الا كثرة المناكر وتفاقم البدع ولم يقتصر على ذلك وادعى انه المهدي المنتظر وانه بصدد الجهاد فاستخف قلوب العوام فتبعوه وكان رحمه الله يكتب رؤساء القبائل وعظماء البلدان يامرهم بالمعروف ويحضهم على الاستمسك بالسنة ويشيع انه الفاطمي وان من تبعه فهو الفاسد ومن تخلف عنه فهو موبق وربما كان يقول لاصحابه محرراً لهم على نصرته انتم افضل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لانكم قتم بنصر الحق في زمن الباطل وهم قاموا به في زمان الحق او نحو هذا من زخاريف كلامه والى هذا اشار الفقيه ابو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد النعم الحاحي في بعض قصائده معرضاً بابي محلى المذكور ومحذراً من حاله فقال

يا امة المصطفى الهادي اليس لكم اتحسبون بان الله يترككم ناشدتكم بالذي في العرض يجمعكم بان من ربكم قد عمه سخط ان قيل للناس ان الهرج يوبقكم لو لم يكن جازماً افي الامام به ومن يقل قال خير الخلق قيل له	فيمضي امسى اسوة من سائر العلما سدى وخلقكم قد تعلمون لنا اما فطتم ومالاه كمن علما من المهيمن يا الله معتصما قالوا الفقيه فلان قبلنا حرما ولا اتاه الاجل ابن الذي هدمنا ها صاحب الوقت يكفينا الذي علما
---	---

ونحن افضل من محب الرسول لنا اجريضاً عفّ في اجبارنا نظماً
وزخرفوا نزهات الحال فانفعت له قلوب عوام رشدها عدماً
وقد وقعت بينه وبين يحيى بن عبد الله هذا مراسلات ومهاجات نظماً
ونثراً كقوله

ايحي الحسيس النذل مالك تدعى قصوراً شعاراً للفحول الاوائل
كعدوك من بيت النبوة نسبة وانت دني من اخس القبائل
ووجهك وجه القرد اقبح ما يرا ورأسك رأس الديك بين المزابل
وشدك تعبياً كراس عجوزة من الروم اقعدت لغسل المنادل

ويزعمون ان يحيى كان معاشراً لابن ابي محلى في زمن الطلب بالمدرسة بفاس
وللعاقبة فيما وقع بينهما من الامور السخريّة ما انزه كتابي هذا عن تسطيره
والله يسامح الجميع بمنّه

ذكر الخبر عن دخوله سجنه ودرعة وصرّاكش

وما وقع في ذلك كله

كان ابو محلى رحمه الله لما كثرت جموعه واتباعه وتعددت اشياعه وانتال
الناس لزيارته صرخ فيهم بوجوب القيام بتغيير المنكر التي شاعت في الناس
وذاعت وجعل يقول ان اولاد المنصور قد تهالكوا في طلب الملك حتى فنى
الناس فيما بينهم واتهبت الاموال واتهكت المحارم فيجب الضرب على ايديهم
وكسر شوكتهم ولما بلغه ما فعل الشيخ ابن المنصور من اجلاء المسلمين عن
العرائش واخلائها منهم وبيعها للعدوّ الكافر استشاط غضباً واظهر أنّه غضب

لدين الله واهله لا حمية وتمصّباً فخرج الى سجلماسة يوماً بقصد اخذها وكان خليفة زيدان عليها رجلاً يسمى الحاج المير فخرج عامل زيدان المذكور لمصادمته وهو في نحو اربعة الاف وابو محلى في نحو اربعمائة مقاتل فلما تراء الجمعان كان الدائرة على جيش عامل زيدان واشاع الناس ان الرصاص يقع على اصحاب ابي محلى بارداً لا يضرهم فسكنت هيئته في القلوب وتحرك له ناموس عظيم ولما دخل سجلماسة اظهر العدل وغير المناكر وقدمت عليه وفود اهل تلمسان والراشدية يهنّونه بالفتح والظفر وفيهم الفقيه العلامة سيدي سعيد فدورة الجزائري صاحب الشرح على السلم وهو من تلامذة ابي محلى كما ذكره في كتاب الاصلية ولما بلغت الهزيمة زيدان ووصله الفلّ جهّز جيشاً عظيماً فبعث به وامر عليه اخاه عبد الله بن المنصور المعروف بالزبدة فسمع به ابو محلى فصار لدرعة فوافاه هنالك عبد الله فوقعت الهزيمة عليه وقتل من اصحابه نحو اثلاثة الاف فقوى عند ذلك امر ابي محلى واشتدّت شوكة وجع بين سجلماسة ودرعة وكان القائد يونس الايسى هرب من زيدان لامر نقمه عليه وقصد الى ابي محلى وجاء معه يطلعه على عورات زيدان ويخفف عليه امره فما زال به الى ان توجه به الى مراكش ففرّ منها زيدان لثغر اسفى وهمّ بالهرب والعبور الى العدو ولما دخل ابو محلى قصر الخلافة من مراكش فعل فيه كيف شاء وتزايد له ولد هنالك فسماه زيدان ويقال انه تزوّج ام زيدان وبني بها ودبت في راسه نشوة الملك ونسى ما بنى عليه امره من التقوى والنسك وفي المحاضرات للشيخ اليوسى رحمه الله ما صورته لما دخل ابو محلى مراكش ذهب اليه اخوانه من الفقراء برسم زيارته وتهنّيته فلما كانوا بين يديه اخذوا يهنّونه ويفرحون به بما حاز من الملك وفيهم رجل ساكت فقال له ابو محلى ما لك لا تتكلّم وألح عليه في الكلام فقال له الرجل انت اليوم سلطان فان امتننى على ان اقول الحق قلته فقال له انت آمن فقال له ان الكورة التي يلعب بها يتبعها الماية والمائتان واكثر وافلّ من خلفها ويكثر الصياح والضجيج والهول

وينكسر بعض الناس وينجرحون وقد يموتون ولا يباليون وإذا فقتشت فلم يوجد فيها إلا شراويط أي خرق بالية مافوفة فلما سمع أبو محلى هذا المثال وفهمه بكى وقال رمنا أن نجبر الدين فالتفناه .

ذكر الخبر عن استصراخ زيدان يحيى بن عبد الله

ومقتل أبي محلى وما وقع في ذلك

ولما رأى زيدان ما رأى وتحقق فشل ربحه وضعفه عن مقاومة أبي محلى كتب للفقير أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي ثم الداودي مستغيثاً به ومستصرخاً وكان يحيى براوية أبيه من جبل درن وله شهرة عظيمة في الصقع السوسى واتباع فبعث له زيدان مستجداً ومستصرخاً وقال له أن بيعتى في اعناقكم وأنا بين أظهركم فيجب عليكم أن تدبوا عني وتقاتلوا معي من ناواني فلبى أبو زكرياء نداه واغاثه فحشد الجيوش من كل فوج وجمع الجموع من كل صوب وخرج يريد مراكش في ثامن رمضان عام اثنين وعشرين والف ولما بلغ يحيى قم تانوت موضع على مرحلتين من مراكش كتب له أبو محلى بما نصه بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن عبد الله إلى يحيى بن عبد الله بلغنى بأنك جندت وهندت وفي تانوت نزلت اهبط للوطا لينكشف بينى وبينك الغطا فالذئب ختال والاسد صوال ولا تستقيم الأيام إلا بضرب القنا وقطع الحسام والسلام فاجابه بما نصه بسم الله الرحمن الرحيم من يحيى بن عبد الله إلى أحمد بن عبد الله أما بعد فليست الأيام لآلى ولا لك أما هي للملك العلام وقد اتيتك بأهل البنادق والأضرار من شبانة ومن انتسى اليهم من بنى جرار وأهل الشرور والبؤس من هشتوكة إلى بنى كنسوس فالوعد نينى وبينك جيلز هنالك يتقم الله من الظالم ويعزّز العزيز والسلام ثم زحف

يحيى لمراكش بجنوده الى ان نزل قرب جيلز جبل يطل على مراكش فخرج اليه احمد بن عبد الله بجنوده ف وقعت المعركة بينهما هنالك فكانت اول رصاصة في نحر ابي محلى فمات مكانه وفرت جموعه ونهبت محلاته وقطع راسه وعلق على سور المدينة فبقى معلقاً مع رؤوس جماعة من اصحابه نحو اثنتي عشرة سنة وحملت جثته فدفت بروضة الولي الشهير ابي العباس السبتي تحت المكتب المعلق هنالك على المسجد الجامع وقد رمز قيام ابي محلى ووفاته الشيخ الفقيه الصدر ابو العباس احمد المريدي المراكشي رحمه الله فقال قام طيشاً ومات كبشاً ولا يخفى ما فيه بعد افادة التاريخ من حسن التسلح وبديع التورية وزعم اصحابه انه لم يمت ولكن تغيب وحدثني بعض من اثق به ان اهل وادي الساوره الى الان منهم من هو على هذا الاعتقاد والحول والقوة بالله ولما قتل ابو محلى دخل يحيى مراكش واستقر بدار الخلافة منها والقي بها عصا تسياره ورام ان يتخذها دار قرار كتب له في ذلك زيدان وهو يقول له ان كنت انما جئت لنصرتي وكف يد ذلك الثائر عني فقد ابليت المراد وشفيت الفؤاد وان كنت رمت ان تجر النار لقرصك وتجعل الملك من قنصك فاقر الله عينيك به فتجهز يحيى للرجوع لوطنه واظهر العفة عن الملك وانه انما جاء ليدافع عن الملك الذي بيعته في عنقه وانقلب لبلاده ورجع زيدان لمراكش وقد قيل ان يحيى رام الملك وان اجناده من البربر لم يساعدوه على ذلك في قضية طويلة والله ولي التوفيق بمنه وكرمه

ذكر الخبر عن بقية احوال يحيى بن عبد الله

وشيء من التعريف به وما يناسب ذلك

هو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الداودي المتأني الحاجي وكان جدّه سعيد رحمه الله واحد وقته علماً وديناً وهو الذي احيا السنة بسوس

وانتفش به الاسلام فيه وقال فيه سيدي احمد بن موسى السملالي ما ولد النساء قبله ولا بعده مثله واجمع الناس على جلالته وديانته وكان من اهل العناية قال لفقرائه يوماً اتعرفون ما يعنى بكم شيخكم يوم القيامة قالوا لا فقال لهم يحضر لكم عند الميزان فمن فضلت له منكم فضلة ياخذها فيردّها على من احتاج اليها من اخوانه حتّى اذا لم يبق الا من قصر به اعماله فيقف لكم عند الصراط حتّى تجوزوا عن آخركم وكراماته أكثر من ان تحصي اخذ عن التّباع وتوفّي سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ولما مات جلس ولده سيدي عبد الله في مكان ابيه وجرى على نهجه وسيله بل كان بعض الناس يفضله على ابيه وكان رحمه الله عالماً عاملاً خاشعاً صالحاً ناصحاً كان يقول ما عقلت على مخالفة لله تعالى ارتكبتها ولا اذيت حيواناً ولا نملة قال في بذل المناصحة لم ار احداً ولا سمعت باحد من المنتسبين بهمّ بدين اصحابه وتعليمهم مثله حتّى كان يعيّن للحرّانين للزاوية من يقوم لهم بوظيفة الماء اذا حان وقت الصلاة فيأتيهم بماء وصطل ونار الى محلّ الحارث فيسخن لهم الماء ويتوضّئون واحداً بعد واحد ويصلّون جماعة ووضع تاليفاً في احوال الاخرة يقرأه على الزيارة بالعربية والعجميّة وكان لا يصل اليه احد الا في الليل وما برز لاحدهم بالنهار قط الا مرة واحدة ويذكر أنّ شيخه سيدي احمد بن موسى اوصاه بذلك وكراماته رحمه الله كثيرة ولعلنا نلّم بشيء منها في غير هذا الكتاب واخذ عن سيدي احمد بن موسى وعن سيدي عبد الله الهبطي وهو معتمده في الطريق وعن محمد بن ابراهيم التمارتي وعن الزقاق والنشريسّي وغيرهم وتوفّي عام اثني عشر والّف ودفن برداعة من جبل درن حيث كانت زاويته بموافقة السلطان الغالب بالله عليها وقد كان سعى به للمنصور لما كثرت اتباعه واشتهر امره وخوفوه منه فبعث له قائده منصور بن عبد الرحمن العليج ليقبضه فانجاء الله منه ولما مات جلس ولده يحيى هذا موضعه ونهجه وسيله وكان يحيى فقيهاً مشاركاً رحل لفاس واخذ عن اشياخها كالمنجور وغيره وعن الوليّ العارف

بالله العالم الشهير سيدي احمد بن محمد المعروف بادبال السوساني دفين درعة وهو معتمده اخذ عنه كثيراً من الفنون واجازه في علم الحديث اجازة عامة قال صاحب الفوائد الجمّة كان يحيى مشاركاً في الفنون من حديث وفقه ونحو وتصريف وتصوّف حدّثني أنّه رأى ابا هريرة رضى الله تعالى عنه في النوم وهو ادم اللون ربة شديد الحمرة فقلت له ما اسمك قال عبد الرحمن بن صخر او عبد الله بن صخر الدوسي الذي سمعتم به فقلت احضرت انشقاق القمر فقال لم احضره ولكنّه صحيح فطلبت الدعاء منه ووضعت يده على وجهي تبرّكاً بها فبعد ان فقت من نومي فبحثت عن اسلامه فوجدته تأخّر عن انشقاق القمر قال وانشدني لنفسه

يا ابا زيد ليس مثلي يسمو عن حديث يرويه مثلك عنه
انت ضيف الدنيا فخفف عيوباً من قراها واخش الردى من لدنه

وكان يحيى شاعراً محسناً وله قصيدة لامية في التهنئة غالبها بحسنة وشرحها في نحو كراسة وسمّاه الرشفة الهنية من رسالة التهنئة وله نظم في الشهداء على بحر الرجز وحدّثني صاحبنا القاضي ابو زيد السجستاني أنّه وقف على تاليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى وابي محلى من القصائد في غرض الهجاء وغيره قال واسم هذا الكتاب التجلّي فيما وقع بين يحيى وابي محلى وكانت ليحيى شهرة عظيمة بالصلاح واتباع كثيرة كوالده وجدّه وتوجّهت لزيارته الاعم وركبت لها المنجائب الاّ أنّه وقع له قريب ممّا وقع لابي محلى فتصدّر لامور الملك ودخل في احوال السلطنة فتكدّر مشربه وانكسف بדרه ولم يشعر أنّ ذلك من مكائد ابليس اللعين ومن دقائق مكائده وقد قال بعض العلماء انّ الرياسة اذا سكنت قلب الانسان لا تقصر به عن ذهاب راسه ولذلك قال صاحب الفوائد في حقّه بعد ما تقدّم ما صورته قام بجمع الكلمة والنظر في مصالح الامة واستمرّ به علاج ذلك الى ان توفّي ولم يتمّ له امراً . وكان لما

رجع لسوس بدا له في طلب الملك وجمع الكلمة لما رأى من افتراقها في
حواضر المغرب وبواديه وذهب لتارودانت فتعاب عليها وملكها ووقعت بينه
وبين أبي الحسن على حفيد الولي الصالح سيدي احمد بن موسى السملالي
وقائع تشيب النواصي ومعاريك يهرم لها الرضيع ولم يزل مصماً على طلب جمع
الكلمة الى ان توفي رحمه الله ليلة الخميس السادس من جمادى الثانية من عام
خمس وثلاثين والف بقصة تارودانت وحمل من الغد لرباط والده وجده فدفن
بجنبه وكان يرسل زيدان وينصحه ويحبر منه من استجار به وكان زيدان يتحمل
من ذلك امراً عظيماً وقد وقفت على رسالة ليحيى بعث بها لزيدان من نمط ما
ذكرناه وهذا نصها من يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم كان الله له
بجميل لطفه دائماً آمين اللهم انا نحمدك على كل حال ونشكرك يا ولي المؤمنين
على دفع الاواء والمحال ونصلي ونسلم على صفيك افضل من شئت له الرحال
نستوهبك يا مولانا جميل لطفك وجزيل فضلك في المقام والترحال عاثرين
بوجهك الكريم من مواخذتنا بسوء اعمالنا يا شديد المحال هذا وسلام الله الاتم
ورضوانه الاعم ورحمة الله تعالى وبركاته على الهمام العالي المقام المولوي الامام
العلوي كيف اتم وكيف حالكم واحوالكم مع الزمان الذي شمر عن ساقه لسلب
الاديان والحق في اقتضاها بهواه على كل مديان فانا لله ولا قوة الا بالله وهو
حسبنا ونعم الوكيل وبعد فالباعث به اليكم في هذه البطاقة امور ثلاثة مدارها
على قوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة فقل لمن يا رسول الله فقال لله
ولرسوله ولخاصة المسلمين ولعامتهم اما الاول فيان سبب الركوب اليكم والى
جانبكم الثاني الحامل على دفع مناويكم الثالث ملازمة نصحكم وتذكركم والضجر
مما يصد من اعوانكم للرعية اما الامر الاول فله اسباب كثيرة منها مراعاة
الحجاب النبوي الكريم في اهل بيته ورضى الله عن ابي بكر الصديق القائل
ارقبوا محمداً في اهل بيته والقائل لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب
الى من اصل قرابتي

يا اهل بيت رسول الله حبيكم فرض من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم المجد انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

ومنها النصيحة الخاصة المسلمين الذي هو الدعاء بالهداية لهم ورد القلوب النافرة اليهم ونصحهم بقدر الامكان مشافهة ومراسلة وقد بذلنا الجهد في الجميع اخلاص الله القصد في الجميع واما الامر الثاني فلما جرى القدر بتغلب ذلك الانسان المستط على الرقاب والحريم والاموال وادخل بتاويلاته البعيدة عن الصواب ما ليس في المذهب وتعدى ضروب الولاة الى سائر الرعية فاضلها ومفضولها ومد مع ذلك يد الوعيد المذكور بالايمان النيا في الانفس والاموال فناشدناه كما تقرر في فتاوي الائمة رضى الله عنهم حيث توقرت فيه فصول هذا الصدر كله يشاهد النيان وكان الامر كما قدر ولله الامر من قبل ومن بعد واما الامر الثالث فالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فسورة العصر قائمة بالبرهان في كل اوان وعصر وقد قال تعالى في قضية كليمه رب بما انعمت على فلن اكون ظهيراً للمجرمين وقد استشهد به بعض العلماء في برى قلم الكاتب للامراء المتقدمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وقوله جل من قائل وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واما السنة فالحديث الاول قوله معاون شريك وقوله من راي منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يقدر فبلسانه فان لم يقدر فقبله وذلك اضعف الايمان وقد كنا مقتصرين على التغيير باللسان والقلم لكون التغيير العملي اليكم حتى جذبتونا اليه وذللتونا بارتكاب اصعب مرام عليه وقوله من اعان على قتل مسلم ولو بشرط كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وقد قال المواق في شرحه على المختصر من اعان على عزل انسان وتولية غيره ولم يامن سفك دم مسلم فهو شريك في دمه ان سفك ثم اتى بالحديث المتقدم استعظماً لذلك الامر الفضيع فاناً لله واتنا اليه راجعون على انا انخدعنا بالله حتى نامن بالقطع لسفك الدماء

اذلك حيث كتبت لنا مراراً وامنت وارسلت وكنت اتخوف من هذا الواقع
 بازموور واسفى ومرآكش والغرب ولذلك كنت الححت عليكم في تقرير العهد حتى
 اتاني القائد عبد الصادق بمصحف ذكر انه لسلطان تلمسان في جرم صغير
 وقال لي امرني السلطان ان احلف لك فيه نيابة عنه على بقاءه على العهد
 فيما بينك وبينه بتامين كل من امنته وامضاء كل ما رايته صلاحاً لامته صلى الله
 عليه وسلم ثم لم اكتب حتى اتى القاضي فكنت لي ما رايته في الصلاح امضيته
 واثك امنت كل من امنته ثم بعد استقرارك في دارك كتبت لي كتاباً بآثك باق على
 ما تعاهدنا عليه معك وان الامور كلها على معيار الشرع فما راعى الا وقد
 اخفرت في ذمة الله واماني الذي عقدته للناس فمن مأسور ومقيد ومطلوب بمال
 ومطروود عن بلدة آل واخبار اخر ترد علينا من جهة السواحل ان الناس
 تباع فيها للعدو دمه الله ولم تر من اهتبل بذلك ممن قلدتموه امور الثغور
 فلم ندر هل بلغك خبر ذلك فتسقط عنا ملامة الشرع ام لم يبلغك فاعلمنا لله
 تعالى لتطمئن قلوبنا فآتي كاتبك في ذلك فلم ار جواباً فقضيت والله من الامر
 عجياً فان عدت ما من الله به عليك ورجوعك الى دار والدك واجتماعك
 بسرير ملكك آمناً من قبل النعم بما تقيد به في كريم علمك وان رايته بنظر
 اخر فان لله ما في السماوات وما في الارض واما الاجماع فلم نر من
 العلماء من نهى عن نصيحة خاصة المسلمين وتنبههم على ما يصلح بهم
 وبالرعية بل عدوه من الدين للحديث الاول وغيره واما ما استشعرناه من
 امتعاضكم من عدم الالة القول في مكاتبتناكم فما خاطبناكم قط رعياً لذلك ولو
 بنصف ما خاطب الائمة الاول به اهل زمانهم اتكالاً على مطالعتكم لكتبهم
 وعلمكم بما لا نعلمه بذلك ولم نروه ويكفيكم نصح الفضيل بن عياض وسفيان
 الثوري وامانا مالك رضى الله عنهم لمعاصريهم من الولاة وفيهم من بكى وانتفع
 ومن غشى عليه وتوجع ومن ندم واسترجع الى غير ما ذكر على اختلاف
 الاعصار وتنوع الدول فبذلك اقتدينا وبما كان عليه اشياخنا واسلافنا لكم

ولاسلافكم كالفقيه شيخ والدنا رحمه الله سيدي عبد الله الهبطي جدكم المرحوم
 بكرم الله تعالى فطمعت نبح النصح دنيا واخرة فهذا اصل قضيتنا معكم وهلم
 جرّا والذكرى تنفع المؤمنين على كلّ حال والحمد لله والصلاة والسلام على
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله خير آل وبتاريخ اواخر ربيع النبوي الشريف
 وكتب عن اذنه رضى الله تعالى عنه عبد ربّه محمد بن الحسن بن بلقاسم لطف الله
 به والحمد لله ربّ العالمين فاجابه زيدان بما نصّه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله
 على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً من عبد الله تعالى المقترف
 المعترف زيدان بن احمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الى السيد ابي زكرياء
 يحيى ابن السيد عبد الله بن السيد سعيد بن عبد المنعم اعاننا الله تعالى واياكم
 على اتباع الحقّ ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا سلام
 عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ورد علينا كتابكم ففضنا ختامه ووقفنا
 على سائر فصوله ثمّ اننا ان جاوبناكم على ما يقتضيه المقام الخطابي ربما غيركم ذلك
 وادى الى المباغضة والمشاحنة ويحكى عن عثمان رضى الله عنه انه بعث لعلّى كرم
 الله وجهه واحضره عنده والقي عليه ما كان يجد من اولاد الصحابة الذين
 عصوبوا باهل الردّة الذي كان رجوعهم الى الاسلام على يد الصديق وهو
 في ذلك لا يحببه فقال له عثمان ما اسكتك فقال له يا امير المؤمنين ان تكلمت
 ما اقول الا ما تكره وان سكّت فليس لك عندي الا ما تحبّ ولكن لما لم اجد
 بداً من الجواب ارى ان اقدم لك مقدّمة قبل الجواب وذلك ان الحجاج لما
 ولّاه عبد الملك بن مروان العراق وكان من سيرته ما يغنى اشتهاره عن
 تسطيره هنا فتاول ابن الاشعث الخروج عليه وتابعه على ذلك جماعة من التابعين
 كسعيد بن جبير وامثاله من اولاد الصحابة ولما قوى عزيمتهم على ذلك استدعوا
 الحسن البصريّ رضى الله عنه فقال لا افعل فاني ارى الحجاج عقوبة من الله
 فنفرع الى الدعاء اولى قال بعض فضلاء العجم يؤخذ من هذا ان الخروج
 على السلطان من الكبائر وجواز المقام معه تحت ولاية الظلم والجور وقد علمت

ما كان من امر عبد الرحمن بن الأشعث وسعيد و أمثالهما وقضية اهل الحرة
لما اوقع بهم جند يزيد بن معاوية بالحرم الشريف ما اوقع ولما بلغه الخبر وهو
بالشام انشد

ليت اشيأخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

وشاع ذلك عنه وذاع وكان ذلك على عهد اكابر الصحابة واولادهم ولا
تعرض احد منهم للنكير عليه ولا تصدى للقيام بكلام واما ما يرجع الى جواب
الكتاب فاما ما حكيت عن الصديق رضى الله عنه في اهل البيت والاحاديث
الواردة في أنه يجب احترامهم وتعظيمهم وتبجيلهم لاجل النبي صلى الله عليه
وسلم فان كان يجب عليكم تعظيمهم فان تعظيمهم يجب على اولاً واولاً عملاً
بقوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى واجرى سبحانه
وتعالى عادة حكمه ما تصدى احد لعداوة اهل البيت النبوي الا آكبه الله لوجهه
واما ما اردتم من حديث النصيح فاني والله احب ان تنصحنى سرّاً وعلانية
مع زيادة شكري عليه واراها لك مودة واعدها محبة ولكن افعل من ذلك ما
اقدر عليه لان الله سبحانه وتعالى يقول لا يكلف الله نفساً الا وسعها ولهذا
قال اكثر العلماء في صدور تصانيفهم ولم ال جهداً في كذا لان النفوس الشريفة
العالية لا تترك من فعل الخير والجد في اكتسابه الا ما عز تناوله وصعب
اكتسابه عليها واما ما ذكرتم من امر ابي محلى وسيرته وما كان تسلط
عليه اما ما كان من عدم استنهاضكم اليه اما تذكر استنهاضنا لكم
المرّة بعد المرّة وتكررت في ذلك اليكم الرسل حتى اجبت اليه
ولا تحتاج فيه لاقامة حجة غير كونه خرج عن الجماعة وقوله عليه السلام
من اراد ان يشق عصامكم فاقتلوه كائناً من كان والا فلو دخل الملك من بابه
وبايعه اهل الحل والعقد واخذ ذلك بوسائل مثل بيعة جدنا المرحوم الذي

تظافرت عليه علماء المغرب وأهل الدين المشاهير ولو كان وصل لذلك بمثل هذه الوسائط لا يجب حربه ولا القيام عليه بما ذكرتم لأن السلطان لا ينزل بالفسق والجور والآفان الصحابة رضى الله عنهم في زمن يزيد بن معاوية لا يحصى عددهم وما تصدى أحد منهم للقيام عليه ولا قال نغزله والآفانهم لا يقيمون على الضلالة ولو نشروا بالناشر وأما أبو محلى فبمجرد قيامه يجب عليك وعلى غيرك اعانتا عليه لأنك في بيعتنا وهى لازمة لك فالطاعة واجبة عليك واعلم أيضاً أن والدك أفضل منك بدليل أبائكم خير من ابنائكم الى يوم القيامة وكان عمنا عبد الملك رضى الله عنه وسمح له على ما كان عليه واشتهر به اعلاناً وكان والدك في دولته وبيعته ووفد عليه ولم يستكف من ذلك ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ولا انكر عليها ولا تعرض لما يسوء ملك الوقت ولا سمع ذلك منه فان كان راضياً بفعاله فهو مثله وان لم يكن راضياً فما وجه سكوته والوفادة عليه وقد تحققت وعلمت ان ولاية احمد بن موسى الجزولي كادت ان تكون قطيعة واشتهر امره عند الخاص والعام حتى اطبق اهل المغرب على ولايته وكان على عهد مولانا عبد الله الغالب بالله برّد الله ضريحه وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر امره وما برح الشيخ المذكور يدعوه له ولدولته بالبقاء ويظهر حبه وكان المولى المذكور يعزل ويولي ويقتل وغير ذلك وكان شرد منه لزاوية المراتب الاندلسي وولد ازيك وامثالهم وكان يتقدم للشفاعة ويشفع ولا يتعقب ولا يعاتب ولا يبحث على ما وراء ذلك باق على عهده ومودته وكان المولى المذكور بعث لابن حسين يسدّ داره فسدها وما فتحها حتى امره بفتحها ولا استعظم احد ذلك ولا أكثر فيه ولا جعله سبباً لفتح باب الفتنة وكان قواد المولى المذكور مثل وزيره ابن شقرا وعبد الكريم بن الشيخ وعبد الكريم بن مومن العليج والهبطي والزدهوني وعبد الصادق ابن ملوك وغيرهم ممن لم يحضرنى ذكرهم لبعد عصرهم قد انغمسوا في شرب الخمر واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من الات الفضة والذهب وكانوا

في عصر احمد بن موسى المذكور وابن حسين الشرقى وابي عمر القسطلی
 ومحمد بن عبد الله التمارتي والشطبي وغير هؤلاء من المشائخ واهل الدين الذين
 لا يسع من يدعى هذه الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم
 فاحسنوا السيرة ولا تعرضوا للسلطنة ولا سمع منهم ما يقدح في ولادة الامر
 وقادة الاجناد ممن ذكر الذين كان الملك يدور على ايديهم ويرجع في تديره
 اليهم ومثل من ذكر من الاولياء كان علامة الزمان واوحد وقته شيخ مشائخ
 افريقية وبعض اهل المغرب عبد العزيز القسنطيني الشيخ المتكلم بالصوفية صاحب
 الايات الينسات قد كان من سكان تونس وكان ملك تونس ومن انضاف
 اليها من عمالتها على الفساد الذي لا يحصى واشتهر امرهم حتى عرفوا به في
 المشارق والمغارب ولم يبرح الشيخ المذكور من بينهم ولا تصدى لتغيير المنكر
 ولا للامر بالمعروف حتى قبضه الله اليه واما ما ذكرتم من ان من اعان على
 قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه ايس من رحمة
 الله فهذه حجة عليك لا علينا لاني ما سمعت في قتل احد ولا قتل من قتل
 الا بامر القضاة واهل العلم ان كان واعلم انه اذا كان هذا يكون وحيداً في قتل
 الواحد فما بالك بمن يريد فتح باب الفتنة حتى لا يقف القتل على المائة والمائتين
 والالف والحمسة الاف ونهب الاموال وكشف الحريم وغير ذلك اما تعلم ان
 ايام فتنة ابي محلي قد هلك من النفوس والاموال بسببها ما لا يحصى عدده
 حاسب ولا يستوفي نهايته كاتب وكان ذلك على رقبته لانه هو المتسبب الاول
 الفاتح ابواب الفتنة لانه كان يقتل كل من انتهى اليها حتى قتل بسببه في يوم
 واحد خمسمائة قتل ولولا ابو محلي ما قتلوا واعظم في حرمة النفوس من هذا
 قوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس
 او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً وليس في قول المواق ما يحتاج به
 على السلطان واما تكلم في اصحاب الخطط على الترتيب الذي كان على عهده
 مثل اصحاب الشرط كصاحب شرطة السوق الذي ينفذ عن القاضي وغير ذلك

من الولاية وولاية أبي محمّد لا تعدّ ولاية حتّى يعدّ عزله عزلاً وما عند المواق وغيره وقفنا عليه وعرفناه وتلقيناه من الشيوخ الحجة وعرفنا ما عند الشافعية والحنفية ودرسناه المرّة بعد المرّة ولست ممّن ينطبق عليه قوله اشقى الناس عالم لم ينفعه الله بعلمه ولكن لما اذا تجنّح لقول المواق لغرضك وتجعله حجة ولم تجبنا نحن فيما كتبنا اليك فيه في يونس اليوسى وقلنا لك قال صلى الله عليه وسلم الحرم لا يعيد عاصياً وقال الابيّ وهذا يحتج به على اهل الزوايا واضربت صفحاً عن الجواب وليس ذلك من ادب الجدل ولكن اخبرنا عن الوجه الذي منعت به يونس اليوسى من الشرع فانّ متاعنا عنده واماء اهلنا في داره الى يوم الواقعة وترتب في ذمته للمسلمين من الاموال والدماء فان كنت ممّن يريد العدل فهلاً عدلت حينئذ تعلم انك لا ترجح جهته ولا تذهب بك النفس مذهبها لاجرم حينئذ تكون عند ما تريد ومع هذا لما مسكنا زوجته وكتبنا لنا فيها فسرّحناها ساعة وصول خطابك من غير توقّف فلو كنت عنادياً لعشت بها عبثه هو باماء اهلى واهل دارى على اتى ما رددت قط شفاعتك مذ عرفتك بعثت لي على ابراهيم بن يعزى فسرّحناه لغرضك على انه ترتب في ذمته ما ينيف على خمسين الف اوقية وذلك المال انما يقال له مال بيت مال المسلمين وانما كان يجب تخليده في الحبس واهل الحصن اخرجناهم منه عن اخرهم وانفدتم كتابكم في ردّهم فامرنا بردّهم عن اخرهم وابن يعقوب اوزال حاكم البلد وشبه الخليفة تركناه على دارنا وحرك من غير اذننا ولا مشورتنا وبعثنا مكانه فانقدت الكتاب فيه فردّ لمكانه ما هو الامر الذي سافرت كتبك فيه الا واسرعنا اليه خفافاً وانما مسألة اهل ازموّر لما جاء كتابكم عزلنا صاحبه وسرّحنا من كان عنده ورددنا الخيل وقضية الخناشة الناس في شأنهم بالاجتهاد وقضية العرب اعلم انّ العرب قد افسدوا الارض واستطالوا سواء هذه البلاد والغرب والذي يليق بهم ما افنى به سحنون في عرب افريقية والمغرب ولو طالبناهم بمجرد العشر هذه مدّة الفتنة بالمغرب لاذى ذلك على اموالهم والناس خرجت عن اطوارها

واحبوا الفتن طلباً للراحة انظر كتاب الافادة للقاضى واستطالهم فيه عليه في
قضية شرعية مصرحة في رسمها القديم على انهم اضعف الناس قلوباً انظر
ما صدر منهم فما بالك بالعرب الذين خربوا البلاد وتساوي الشيخ والصغير في
ذلك فان كنت تصنى لمقاتلتهم واسعاف شهواتهم والتعرض للسلطان دونهم فهذا
نفس خراب العالم وطالع كتاب صاحبنا من عند الرحامنة وما صدر بخبركم ورايت
ان اقدم لك مقدمة امام هذا وان كانت ادبية قيل لابن الرومى وهو على بن
العباس لم لم تقل كعبد الله بن المعتز

كان ادورتنا والشمس فيه كالية
مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

فاجاب بان قال لا يقدر هو ان يقول مثل قولي في وصف الرقاقة

ما انسى لانسى خبازا مررت به يدحو الرقاقة وشك اللحم بالبصر
ما بين رويته في كف غرته وبين رويتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تتداح دايره في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

وقال كل منا يصف اوانى بيته ورب البيت واهل مكة ادري بشعوبها والصيرفي
اعرف بنقد الدينار وقضية الخضر والكليم صلوات الله على نبينا وعليهما السلام
فيها كفاية لمن يعتبر في خرقه السفينة وقتله الغلام واقامته للجدار والكليم يرد
عليه في كل ذلك حتى انباه الله بسر ما لم يعلم على ان علم الخضر في علم موسى
كحلقة ملقاة في فلات من الارض هكذا قال بعض العلماء وقال بعضهم
كل منهم على علم خصه الله به ومن هنا جوز ابن العربي الحاتمي في بعض
كتبه واحسب ان ذلك في كتاب الفصوص ان الولي الذي يتخذ الله
ويصطفيه بمحبته يطلعه على علم لم تطلعه الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم

فقال مشيراً لنفسه طالعنى الله على علم لم يطالعه ادم فمن دونه واعلم ان
السلطنة لها اشراط لا بد منها وسياسة يكره ظاهرها ولكن نرجع الى
غرضك ومرادك اخبرنا كيف تحب نسلك مع الناس في الغرب فان كنت
تحب نسلك فيهم مسلک مولاي عبد الله فالزمان غير الزمان والاسعار
قد طلعت وبلغت النهاية والله تبارك وتعالى قد بعث انبيائه وانزل كتبه
بحسب ما يقتضيه الزمان وهذا يعرفه من خالط الشرائع والكتب المنزلة
واخذ العلم من افواه الرجال وادبته مجالس العلم ونحن نلخص لكم الكلام
على بعض ما اورد الناس في الحراج اما ما بنوا عليه فرضه في صدر الاسلام
وفي الدول العظام فلا نطيل بذكره لشهرته واما ما في الغرب خصوصاً فاؤل
من فرضه عبد المومن بن على وجعله على اقطاع الارض بناء على ان الغرب
فتح غنوة واليه ذهب بعض العلماء ومنهم من يقول ان السهل فتح غنوة
والجبل صلحاً فاذا تقرّر هذا علمت ان اهل هذا العصر قد بادوا واندرثوا
فيكون السهل كله ارضاً ليت المال تعين ان يكون الحراج فيه على ما يرضى
صاحب الارض وهو السلطان والجبل تتعذر معرفة ما كان الصالح عليه ولا
سبيل الى الوقوف عليه فيرجع للاجتهاد وقد اجتهد سلفنا الكرام رضوان الله
عليهم في فرضه لاؤل الدولة الشريفة على وفق ائمة السنة ومشائخ اهل العلم
والدين في ذلك العهد فجرى الامر على السنن القويم الى ان هبت عواصف
الفتنة لايام ابن عمنا صاحب الجبل وازاله مولانا الامام وضوءه المرحوم عن
حواضر المغرب وسيله عند الزحف بالاتراك وامتدت به الفتنة في الجبل الى
ان هلك مع النصارى دمرهم الله في الغزوة الشهيرة وجاء الله بمولانا المقدس
بالجبل العاصم للاسلام من طوفان الاهوال فقدر رضى الله عنه الاشياء حق
قدرها وراى المغرب غب تلك الفتن قد فغر افواهه لانتهامه عدوان عدو
عظيم من الترك وعدو الدين الطاغية فاضطرّ رحمه الله الى الاستكثار من
الاجناد لمقاومة الاعداء والدب عن الدين وحماية ثغور الاسلام فدعا تضاعف

الاجناد الى تضاعف العطاء وتضاعف الحراج وتضاعف الخراج الى الاحجاف بالرعية والاحجاف بالرعية امر يستكف رضى الله عنه من ارتكابه ولا يرضاه في سيرة عدله طول أيامه فلم يبق له حينئذ الا ان امعن النظر رحمه الله في اصل الخراج فوجد بين السعر الذي بنى عليه في قيمة الزرع والسمن والكبش الذي تعطى الرعية منذ زمان الفرض وبين سعر الوقت اضعافاً فحينئذ تحرى العدل فخير الرعية بين دفع كل شئ بوجهه او دفع ما يساوي سعر الوقت فاختاروا السعر مخافة ان يطلع الى ما هو أكثر فاسعفهم رضى الله عنه وعرف الناس الحق فلم ينكره احد من اهل الدين ولا من اهل السياسة ليت شعري لو طالبنا نحن الرعية اليوم بسعر الوقت الذي طلع الى اضعاف مضاعفته ماذا تقولون وقد انتقدتم علينا ما هو اخف من ذلك والحاصل راجعوا رضى الله عنكم ما عند الامام الماوردي في الاحكام السلطانية في ضرب الخراج فقد استوفى الكلام في ذلك واما ما تقتضيه من العجب لتعطيل اجوبتنا عنك نحن نراجع اقل منك ولكن كتابك أكدت مبناه على قضية اهل ازموار فانفذنا من اخرج الذي كان به وامضاه وسرح من كان عنده فتوقف الجواب حتى يرجع الخديم فحينئذ اجبتكم بما وصلكم وتعجيل الاجوبة وبطؤها فاعلم ان الذي يقتضى ذلك امور منها ان يكون ما سمعت ولا بلغنى ان يكون الامر الذي ورد الخطاب فيه منكم فتوجه للبحث فيه والفحص عن اسبابه فربما اوجب ذلك البطء بحسب الامكان والبلدان فيكون جوابنا على اساس وبيان وان كان عندنا ما ورد فيه خطابكم فالجواب لا يتأخر وقد وقع هذا منا غير مرة وكون تعطيله منشأه ما من الله به علينا من رجوعنا الى سرير ملكنا واجتماعنا بآباء امنا فاعلم ان اهل المغرب لما تمالئوا على وخرجت للمشرق والتقيت بالترك والاروام جالسوني وجالسهم وخاطبوني وخاطبتهم منهم مشافهة ومنهم مراسلة وكنت ايام مقامى بارضهم كقامى على سرير ملكي لان كبيرهم وصغيرهم ورءيسهم ومرءوسهم كان يتنجع فضلى ويمد كف رغبته لنعمتى وواسيت الجميع

عطاء مترفاً مع قلة الزاد والذخيرة وترفعت عن مراسلات الامثال والاكابر من
العجم والغرب ولا ركنت لاحد بل تجودت بما قدرت عليه من الاخية
حتى جعلت محلة برماتها وخيلها فتراموا على العجم بالرغبة وبسطوا كف الضراعة
في المقام عندهم والدخول في جلتهم وعرضوا على الاقطاع السنية والبلادات
الملوكية بلطف مقال وادب خطاب حتى قال السلطان مراد رئيس المجاهدين
وما مثلك يكون مع العرب ها نحن نخدمك باموالنا وانفسنا وبما لنا من السفن
حيث اردت واحيت ولا انفصلت عنهم حتى كتبت لهم بخطي اني نحمل اهلي
وحاشيتي وارجع اليهم الا ان تمكّن لي الدخول في الملك والغلبة على البلاد او
بعضها وقد قفلت من عندهم ولم يتعلّق ثوب عفافي ما يشينه معهم ولا مع العرب
ولكن ليس لاحد على منّة ولا نعمة الا فضل الله تعالى وكان فضل الله علينا
عظيماً ثم اني دخلت سجلماسة على رغم ائف اهلها وواليها ومنها دخلت للسوس
وجعلت ولي الله العارف بالله ابا محمد عبد الله بن مبارك واسطة بيني وبين اخي
حتى اجتمعت باهلي ومالي وبعث اليّ الترك باحد بكباش اسمه مصطفى صولحي
الى السوس راغبين انجاز الوعد فجنحت للمسير اليهم فرايت الاهل والاتباع
قد عظم عليهم الامر واستعظموا الخروج فاسفعت رغبتهم في المقام في المغرب
وشيعت الرسول قافلاً الى قومه من سجلماسة عند الدخول الثاني لها ومغالبة
اهلها عليها وعززته برسول من عندي اليهم تحف واموال ورد بها مع رسولهم
ثم اني اقتحمت مراكش مع اهل فاس على كثرة عددهم وعددهم وقتي
ووحدي وفتح الله عليّ ثم خرجت للسوس مرة اخرى واوقعت بمولاي احمد
الشريف وجموع مراكش وقد تعصّبوا عليه لانهم شيعة جدّه ففضضته على
رغمهم ونازلته بالسهل والحزن حتى مكّن الله منه وحكم بيني وبينه ثم نجح
الغوى ابو محليّ وغلبت على الراي وقد قال من هو افضل مني مولانا على كرم
الله وجهه لا راي لمن لا يطاع ودخل هذه البلاد وخرجت انا للسوس ربما
تجتمع الينا قبائلنا في المكان الذي كان اجتماعهم فيه الى ان بلغتهم وقصد اليهم

ابو محلى فقاتلوه ورحل عنهم بعد ان انخروا فيه بالقتل ثم وافيتهم بمكان والحرب
بيننا سجال فهل سمعتم خلال هذه الاحوال اتى احتجت لاحد فيما قل او جل
وهذا كله بحيث لا يخفى عليك اللهم الا ان تعتد الوفادة التى وفدنا عليك من
قبيل الاضطرار والاحتياج فلادري على اتي ما قصدتك لطلب دنيا لاتي
كنت اسمع ما انت عليه من متانة الدين والصلاح والاقبال على طاعة الله
والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاغزو من كان هذا وصفه كان
جديراً بان يقصد للدعاء والتبرك ولاصلاح القلب ولا شك اننا نزلنا دارك
وحالنا مكانك ولما وقع الاجتماع معك جرت انذكرة في ابي محلى وغيره
حتى كتبت الكتاب الذي علمنا عليه وها هو بيدي بخطك فان نسينا بعض
لفظ مما فيه ولا فعلنا فاخبرنا به نستدركه وهذا مراكش الذي ذكرتم قد كنت
فيه كما ذكرتم ووقفت الى عبد المومن بن ساسى وعدته مرة اخرى في مرضه
وهل قصده لطلب دنيا او عرفته لاجلها ومحمد ابو عمر لما وقفت بالمدرسة
التى من بناء مولاي عبد الله وقفت عليه في داره وكان ذلك انما نفعه
تاكيداً للمحبة وزيادة في المعرفة بالله ولو علمت ان ذلك يعد ويظن انه
نوع من الاحتياج والله ما كنت لاقف على احد ولو انه يملكنى الدنيا بمدافرها
لان الخير والشر بيد الفاعل المختار وهو اولى بالاضطرار اليه واما سربي
فا تروّع قط حتى يامن واما من كان في الدار التى ذكرتم فاما هم اهلى
ومتروك اعماى وهذه الدار التى ذكرتم فيها نحن نستقل منها لبعض البلاد
المغربية البحرية كما قلت لك ذلك مشافهة ساعة قلت لي ينبغي للاسلاف
بناء بالجيل لوقته وحكى ذلك عن والدك واما ما اخبركم به القاضى عند ايام
ورودي لسوس وقت بلغنى كتابكم الذي نصه قد اجتمعت اناس وفسدت
النيات وتعينت المطامع وارادنا تدبيركم لان الملوك اهل التدبير والمراد رجوعنا
لاوطاننا من غير وصمة تلاحق الجانبين فكل ما حمل فهو عنى والتزمته الى
الان الا ما طرا علينا فيه النسيان ذكرونا به فانا لا نخرج عنه واما يمين المصحف

وإني كنت حلفت فيه للقائد عبد الصادق فلا والله ما حلفت فيه ولا نحلف لاحد الى لقاء الله اما علمت اني حضرت بيعة صاحب المغرب سمح الله له وحضر اولاد السلطان واستحلفهم له الا انا فانه رضى الله عنه قال فلان لا يحلف ولا يحتاج اليه فما نامره به يفعله وعظم ذلك على اخوتي وظهرت في وجوههم الكراهية لاجله ولكن الذي قلت لابن عبد الصادق احلف للمرابط وانا اوفى لك به وما زلت على ذلك لان الذي كنت تقول ذلك الوقت اخاف ان تقع في اهل مراکش والاكابر ونحو هذا مثل حكومة عبد القادر ونحوها اما اهل مراکش فما تعرضنا لاحد حتى تركنا متاعنا لاجلكم كولد المولوع وغيره وهذا الميدان والشعر ابعث من رضىت ينادي فيهم من له علينا حق ننصفه منه ومن خدامي ايضاً وان كنت سمعت قضية منصور العكاري فالعكاري نزل اهلنا في خيمته عند وقعة راس العين فلما ارادوا الطلوع للجبل تركوا اكثر ما لهم في خيمته مع بعض الخدام خوفاً من غائلة البرابر لما كان وقع منهم لبابا ابي فارس فاخذ سماً من ذهب يزيد على ستين الف اوقية وكان أيام ابي حسون معه وفي جلته حتى مات القائم دخل حجته بالبحار عشرين الفاً والباقي حتى يوديه على سعة وطلب ان يتعمل ويتولى الخطط لينتفع ويجمع بعض ذلك فصدقاه حتى جاء ابو محلى ووقع ما وقع طلبناه بمتاعنا وهو لا يسعه انكاره وهكذا عبد الكريم الذي هو في زاويتك بنفسه يعلم ان اخوته اخذوا لي سلعة في وسط حلتهم وانا بين بيوتهم تزيد على خمسين الفاً واخذوا الابل وها نحن سكتنا عنهم ولا طلبناهم بها وايضاً ان قال لك انظر ما فعل باخوتي وكذلك تكاتبنا وانت لا علم لك باصل المسألة واما الاموال فان الله عز وجل وسع علينا من فضله فعدنا ما يكفي الخامس والسادس من الولد وعرفنا الناس وعرفونا وعاملناهم وعاملونا ولو اردت خمس مائة الف مقال من صاحب افلامك او من الانجليز وكتبت لهم بذلك ما تاتوا في بعثه ولا لاذوا فيه بمعذرة وقد كفانا الله والحمد لله على ذلك واعلم ان الظن فيك جميل ولولا

ذلك ما اعطيتك خمسة الاف مثقال وسمحت بالمال الذي حمل اليكم ابن عبد
الواسع اخراً ولا بساعة السفن وبهذا كله تستدل على صفاء النية وصالح السريرة
والله سبحانه وتعالى يعلم ذلك وأما الامتناع من عدم الالة القول وحسن
الخطاب كما قال الله تعالى وقولوا للناس حسناً وأنت لم تبلغ ولو نصف ما
خاطب به الايمة رضوان الله عليهم اهل زمانهم اتكلاً على علمنا به فحسبي نصيح
الفضيل بن عياض وسفيان الثوري ومالك ابن انس رضى الله عنهم فهذه
المسالة حسبي في الجواب عنك والسلام . وقد وقفت على رسالة كتب بها اليه
القاضي العدل الفقيه الاجل ابو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السجستاني وكان
يحيي استشاره فيما عزم عليه اذ كان قاضياً بشارودانت فلم يوافقوه وابي
عليه من مساعفته على ذلك فغضب عليه يحيى حتى انه امر بقتله غيلة فخرج
من المدينة خائفاً يترقب فسأله الله منه وذهب حتى نزل بمراكش وهذا نص
الرسالة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
يقول العبد الفقير الشديد الحاجة الى رحمة مولاه الغني به عمن سواه السائل
منه التوفيق واللطيف في طعنه وماواه كاتبه عيسى بن عبد الرحمن عفا الله عنه
وسامحه الحمد لله الذي جعل الصدع بالحق وظيف الرسل والانبياء واورثه
بمدهم من خلقه فريقاً من العلماء العاميين الاولياء والصلاة والسلام على من
أكد امر النصيح وقال ان الدين النصيحة فقالوا من يا رسول الله فقال له
ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم والرضى عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيله
وانتهجوا من المناهج طريقه وعن التابعين وتابع التابعين لهم الى يوم الدين
والفصل والقصاص بين الخليفة وبعد فاني قفلة والحمد لله بسلامة وعافية الى
حبي وجدت اهلي واولادي مستوحشين البادية وان كانت محلى سافى ومقر
تلادي بعد ان افوا الحواضر وطبعوا على طباعها فكانوا احق بها واهلها
وكننت في غاية الضيق والتأسف لما حمل بالاولاد فذكرت قول بعض فقهاء
الاندلس لما نابه ما نابني واصابه مثل ما اصابني

ليس من القبيح مقام مثلي بدار الحسف منحسف الجمال
اخالط اهل سائمة ورعى وارتع بين راعية الجمال

فجئت بفكري وان كان الكلّ بقدر الله وارادته فرايت ان في ذلك انقضاء لطف
امر اتجه كما لا يخفى على ذي بصيرة ما حلّ بالمغرب من افتراق الكلمة
وتلاعب شياطين الانس والجنّ بذوي العقول منهم فصاروا احزاباً وفرقاً فتبع
كل طائفة من هواها ما كانت تعبد حتى اذا عرض لعاقل او عرض عليه سهم
الاقلاع بادرت الشياطين فسدّوا عليه بابه وواروه باغوائهم وزينوا له ان ذلك
يشينه عند العامة ويوجب له السقوط من اعيان الناس مع انه لا يعدّه من
السقوط الا لوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
واين يغيب عن الموفق ان السقوط من عين الله هو الطامة الكبرى واين غاب
عنه ان العبرة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بكلام الهمج
الرعاع ممن لا يزان الشيطان يلعب به آخذاً بزمامه ساكناً على قلبه ولسانه
واين يغيب عنه من كتاب الله فامّا من ضلّ وائر الحياة الدنيا فان الجحيم هي
الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى
وقلت انا لله وانا اليه راجعون هذه مصيبة عظيمة نزلت بغربنا فافترق ملاؤهم وقتلت
سراواتهم واتتهب اموالهم وهتكت حرماهم ومزقت اعراضهم وفسدت اديانهم
واحتلت وبعدت عن التوفيق اراؤهم وكادت تطمع بل طمعت فيهم اعداؤهم
اللهم يا ذا الطول والامتنان يا حنان يا منان يا ذا الجلال والاكرام تداركنا
بالطافك الخفية في ديتنا ودنيانا خالق الارض والسماء فان قلت ما
ذكرته من ان خروجك من الحواضر الى البوادي هو نتيجة افتراق الكلمة
كما فعله من يقتدي به من الصحابة رضى الله عنهم فهو قصد صحيح وما دلك
على التلاعب قلت ما خرجه ائمة الصحاح من منع الخروج عن الايمة وان
الواجب في حق من راي منهم ما يكره الصبر والاحتساب اذ غاية الجور وان

تفاحش أقل بكثير من غايلة الخروج الذي يترتب عليها فساد المهيج والاموال
والاعراض والاديان وهتك الحرم ولهذا صبر على جور الحجاج من علماء
الصحابة والتابعين من صبر حتى لقوا الله تعالى سالمى الاديان وبالعبادة
مغتتمى الزمان وتذكر ما آل اليه الحال ووقع بالمرابط ابي محلى فانه كان في
قطره عالي الصيت يقصد للزيارة ويتبرك به ويعتقد فيه انه قطب زمانه وبلغ به
الحال الى ان سولت له نفسه او سول له انه يصاح به ما لم يصاح بغيره من
الانام فقام واعانه عليه قوم اخرون حتى ملا الدنيا صياحاً ودعاوي وعياطاً
واكاذيب مما لم يشهد به عقل ولا نقل فتجرا على المسلمين حتى لم يسلموا من
لسانه ولا من يده فسب واغتاب وقتل ونهب وحمل نفسه ما لا تطيقه فاستهوته
شياطين الانس والجن والنفس والهوى ثم بعد ذلك كآسه لم يحصل من
سعيه على طائل وافته الغفلة عن الكتاب والسنة والرضى عن النفس والهوى
حتى انه حكمها فصارت تلعب به الى ان فاه وادعى دعاوى بما استباح ما كان
معصوماً من دمه وهلك بعدة بسببه نفوس واموال وغير ذلك ايشك من
ارتاض بالكتاب والسنة ونظر بعين الشريعة ان فعله ذلك مما حمله عليه من يجب
عليه مخالفته من الشياطين والنفس والهوى وربما استحسن فعله ذلك من شيعته
من ابتلى به او قلده تقليداً ردياً في فعله فان توليت فأما عليك اثم الاريسيين والى
الان كانوا يستصوبون فعله ويستحسنون قوله مع انه بمعزل من الكتاب والسنة
فان قلت هذه طوائف الفقراء ما بين متعصب متحزب ومتحيل متصيد
ومتسور على ما استأثر الله به من الغيوب مرتكباً للاثام مصراً على العيوب قلت
هذه طوائف الفقراء فيها جل ما تقدم وزيادات تضيق على الاحاطة بها السطور
والطروس قد بددتها والعياذ بالله بالفتن وشردها ما تخوفته من الحن فانت
العلوم واضمحلت الفهوم وتعطلت الرقوم فلا منطلق بذكر ولا مفهوم

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود

ان دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

قلت وهذا الشيخ ابو زكرياء هو الذي يساق الى نصحه الحديث كئنا نستشفى به ونستشفى وكانت تشد له الرحال ولا ياتف من اتيانه النساء والرجال قد اتته من اقطار مغربنا الوفود ودانت له النياب والاسود وكان يعلم الجاهل ويهدي الضال ويطم الجائع ويكسي العريان ويعين ذا الحاجة ويغيث الالهفان وهي سيل يا لها من سيل وطريقة ما احسنها من طريقة ثم صارت تلك الجموع ايادي سبا وتلاشت شذراً مذراً ما لها من نسا وكان امر الله قدراً مقدوراً ايها الشيخ اكرمك الله بتسديده او تجدد في الوجود ملكاً اعظم من ذلك الملك فتطلبه او تجدد سلطاناً يوازيه او يقاربه فتحاوله اين خفي عليك هذا الشيخ وهو ضروري واين ضلت عنك نصوص الكتاب والسنة وانت معقول الم يان لالذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم وان ابغض الكلام الى الله ان يقول الرجل للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك وهو طرف من حديث خروجه للنساءي قد وعظتك وذكرتك ان نفعتك الذكرى لقوله جل من قائل وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فقلت من التعجب ليت شعري الايقاظ امية ام نيام فان قال شيطان من شياطين الانس والجن هذه ما اريد به وجه الله قلت الله الموعد اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم وان خطر هذا او هجس بقلب الشيخ اكرمه الله قلت والشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم قلت ادل دليل على اتي قصدت محض النصيحة هو انه استصحنى على دفاع ابي محلى فصحه وقلت له ان هذا لا تستقيم معه الديانة فكانه ما قبل فانفصلت عنه وهو يقول استخبر لي الله فكاتبته بان لا يفعل ثم لما نزل وكان على باب الغزو من تارودانت خلوت به وقلت له اذاك ان الناس يقولون كذا وكذا وعرفته اذاك بما عرفته من ابناء الزمان فجمعتنا في رملة الى الان اتحيل حرها ونباري من كل ما يقال وما زلت على المنع حتى جاءت

كراريس من قبل ابي محلى فتألمتها فوجدتها مشتملة على كفریات في جزئیات
 فحينئذ شرح الله صدرى لابطاحه دفاعه ثم اتى قلت بعد ذلك يا نفسى امره واقول
 في نفسى ما كان يقوله الامام سحنون في قضية ابي الجواد ما لي وله الشرع قتله
 ولو غششت لغششت في قضية ذلك الرجل وزينت لك قتاله أولاً لأن ذلك
 مقتضى التعصب للامير واذا لم اتعصب اذالك فكيف استسهله الان فتعين اتى
 نصحت لكم ان قبلتم والا فكما قال الله تعالى اخباراً عن نبي من انبيائه ولكن لا
 تحبون الناصحين انشدك الله الذي باذنه تقوم السماوات والارض انى قلت لك بعد
 رجوعك الاول من مرآكش بل العام الذي قبله لأن العذر لا يحسن ولوحت
 وصرحت بأن شق العصا لا يحل غير ما مرة وما كان كفاني القول الدليل على
 ذلك الى ان زدت الفعل وخرجت من مدينة لا ابغضها كما قال الشاعر

فوالله ما فارقها عن ملالها وائى بشطىء جانبها لعارف

ورضيت بالبادية مع جفائها فراراً من الفتنة وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم
 يوشك ان يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر
 يفرّ بدينه من الفتن ثم بعد فعلى هذا كله نصحت فلم افلح وخانوا فاقادحوا
 واسكننى نصحى بدار هوان وعدوا على من القبائح طاعنى للامير مع انك
 يوم جاء لدارك قلت لهم هذا اميركم ونحن لا نشك انك من المعتبرين في مغربنا
 وان بيعتك لاحد لازمة لنا وكذلك حين ذهبت لمرآكش في وقعة ابي محلى
 قد اراد اهل مرآكش بيعتك فابيت واجت البلاد لخدم الامير وقلت لهم انه
 امير وفهمه الناس عنك بلسان الحال وبلسان المقال ونصروه بمرئى منك
 ومسمع أفنشك بعد ان كان منك هذا انك مبايع وانت قدوة واذا كان هذا
 فائى حجة لك على الامير وعلى المامورين فمن زين لك قتاله فقد غشك
 اذ هو مسلم وابن مسلمين فان قلت موافقتى مشروطة بشروط لم يوف لي بها

قلتُ هب انه لم يوف استبيح لقناله لاجل ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول للتار الحديث فيالله ايها الشيخ ما تقول في هذا الحديث وانظاره وما تقول فيمن انتهب وعسى ان ينتهب من اموال الناس او اخذ بغير حق وانفق في سبيل الطاغوت والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه او ما تستحي من ربك يوم تسال عن النقيير والقمطير ولست ممن يخفى عليه ذلك كله فتمذر عند الخلوقين او ما علمت ان كثيراً من العوام يعتقد جواز ذلك اذا راوا ارتكبته فتكون قد سنتت هذه السنة وضل بسبب ذلك كثير من الناس او ما خشيت دعوة المظلوم التي ما بينها وبين الله حجاب او ما كنت تعير على من يرتكب مثل ذلك من الولاة وتتأسف عليه لاتعير اخاك المؤمن الحديث لاتنر عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم البيت اما انتهيت لما وقع لاهل درعة من النهب والسلب واسترقاق الاحرار وهتك الحرم ان دمائكم واموالكم عليكم حرام الحديث وقد اتانا السؤال من قبل الشيخ عن صنع ذلك ولم يستطع اذاك من نظر بنور العلم ان يقول لهم في وزن قطر الماء الى ما آل اليه الحال في اهل درعة مع ان جاثم حملة القرآن وعامتهم بله واكثر اهل الجنة بله افيليق في حق الصلحاء ان يسلط عليهم من لا يرحمهم ولا تنزع الرحمة الا من قلب شقي انما يرحم الله من عباده الرحماء من لا يرحم لا يرحم الراحون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم في السماء انسيث انه يقص من الجاه من القرناء وان الظلم الذي لا يتركه الله ظلم الناس بعضهم لبعض افى علمك ان حسناتك تفي بما عليك من التبعات او انه لا تباعة لاحد عليك ولو كنت بدرياً لا حتمل في شانك ما قال عليه السلام لعمر وما يدريك ان يكون الله اطلع على اهل بدر اعملوا ما شئتم فقد عبرت لكم او كما قال والظلم ظلمات يوم القيامة او تستطيع ان تقتحم ظلمات الصراط والا فانت مسئول عن القيراط وحتى اهل تارودانت باغنا انهم لم يغن في شانهم الترويع بل بلغ بهم الجور والحال الى التفرع فاتق الله

أيها الشيخ ولا تكن كمن اذا قيل له أتق الله اخذته الغرة بالاثم هذا بعض ما يتعلق بحقوق الناس على العموم ويتعلق بحق كاتبه على الخصوص أنك اخذت عليه اذ ادى الطاعة للامير ووعى ما هو من شيم المؤمنين من حسن العهد والتبري من القدر وشق العصا بعد ابدال وسعه في نصحك ونصح الامير وحاول بكيته على جمع الكلمة وتعب في ذلك واقتحم عقبات لا يقطعها الا بازل ولا سبيل اليها لمن يكون في دينه وعلمه مثلي ممن هو نازل كما قيل اذا غاب ملاح السفينة فارتمت بها الريح هدأ جاذبتها الضفادع وقيل

لعمري ابيك ما نسب المعلى الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت وضوح نبتها رعى الهشيم

ولكن ليس من شروط النصيحة كمال الناصح كما انه ليس من شروط تغيير المنكر عدم ارتكاب المغير لها لان هذه طاعة وتلك اخرى والتوفيق بيد الله سبحانه نعم بلغنى مع ذلك وجزم لي بانك مع بذل النصيحة لك وللامير اصلح الله الجميع واصلح ذات بينهم اخذت على بالرصد في قفولي لصيتي والرجوع اليهم رعاية لما يجب ويندب من حقوقهم وهل هذا ايضا الا حكم الهوى والشيطان عندك اكرمك الله ما تستيح به ذلك مع آتي والحمد لله اينما كنت لا اسعى الا في مصلحة جهد الاستطاعة او بت نصيحة حيث لا ارى من يبتها او اغاثة ملهوف حين تجب اغاثة لئن بسطت الى يدك الاية ولكن الباري سبحانه وتعالى يقول ولا يحق المكر السيئ الا باهله وفي التورية من حفر حفرة فليوسعها ولا تحفر بئراً تريد اخباها البيت فاين وجدت ما يسوغ لك ارتكاب مثل هذا قولاً او فعلاً او اشارةً او تلويحاً او تصريحاً واي جريمة توازي هذه الجريمة او كبيرة من الاثم اكبر منها والى الله الموعد وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون هذا والسعاية المصحوبة بسؤال عن دفع سجنانة اين

تجدون ما يوجب اباحتها اين غاب عنكم انها من الكبائر واين غاب عنكم قوله عليه السلام ان الرجل لا يتكلم بكلمة يهوى بها في جهنم سبعين خريفاً هذا من اخلاق المؤمنين والصالحين وانت من بيت الصلاح ما كان جديك يرضى مثل هذا وما كان ابوك امرء سوء وهذا والله اعلم نتيجة قرناء السوء وقد قيل لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلّك على الله مقاله والى هذا يتمي حق الصّحبة اعني بذل النصّح ان الله يسال عن صحبة ساعة ونحن صاحبناك واعتقدناك ونصّحناك ووعظناك انصر اخاك ظالماً او مظلوماً ونصرتناك بالرد الى الجادة اين انت من مولانا الحسن بن عليّ اذ تخلى لابن عمّه معاوية مع أنّه هاشميّ علويّ فاطميّ احد ريجائيّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعاوية امويّ يجمعهما عبد مناف عن الامارة مع أنّه امام ابن امام واصلاح الله به وهو سيّد بين فئتين عظيمتين من المسلمين بعد ان كان يلقّب بامير المؤمنين فقال له اصحابه اذ سلم له في الامارة يا عار المسلمين فلم يكثر بذلك ولم يبال به وقال النار اشدّ من العار الهما الله واياكم لرشد انفسنا وجعلنا واياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه .

ذكر الخبر عن بقية اخبار عبد الله بن الشيخ بن المنصور

وما وقع له مع الثوار بفاس

كان عبد الله في حياة ابيه الشيخ تحت امره يصنئ له ولا يقطع امرأ دونه وكان غالب جنده وانصاره من اشراقة وبهم كان يستعصم حتى اعطاهم اجنة الناس وديارهم فكان الرجل ياتي بستانه فيجد اعرابياً بخيمته في وسطه فيقول له اعطانيه السلطان ومدوا ايديهم في حرايم الناس ونهبوا الاسواق وجأهروا بالفساد واطهروا السكر في الطرقات واقتحموا على الناس دورهم حتى ان امرأة كانت تطبخ خليعاً وولدها رضيع عندها فاقتحم عليها الدار احد اشراقة

فهربت المرأة واغلقت عليها مشرفة لها فلم يقدر لها على شيء فراودها على النزول اليه فابت المرأة فقال لها ان لم تنزلي الي رميت الولد في الطنجير فمادت على الامتناع فرمى به صاحت صيحة عظيمة والقت بنفسها عليه فاندقت عنقها فماتت فغاض الناس ذلك وقام على الشرافة رجل يقال له سليمان بن محمد الشريف الزرهوني ويلقب بالاقرع واعصوب عليه كثير من العامة وقاموا في نصرته فقتل الشرافة والتلمسانيين بفاس حيث وجدوا وحكم في رقابهم السيف واخرجهم من فاس قهراً وحمل المدينة من اذابتهم وطهرها من قبائحهم فاستحسنوا الناس امره واذعنوا له وكان ابتداء امر الشرافة واشتداد شوكتهم من عام ستة عشر والالف وكان قيسام سليمان عليهم في ربيع النبوي سنة عشرين والالف وكان عبد الله في ثوران سليمان وقتكه فيهم غائباً بسلا فلما بلغه الخبر قدم ورام الصلح بين اهل فاس والشرافه وراودهم على ذلك فقالوا لا لا فسمي ذلك العام عام لالا وامر سليمان الناس بشراء العدة والتهيء لملاقاة اشرافة وخرجوا لمقاتلة الشرافة خارج باب الحيسة فهزموا الشرافة وتسكن حال المدينة وامن الناس اماناً لم يعهد منذ زمان السلطان الغالب بالله وفي يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الثانية عام عشرين والالف كانت وقعة المترب موضع خارج باب الفتوح وسبها ان اهل فاس استغاث بهم الملائكة مكيدة وحيلة واستصرخهم على الشرافة فخرجوا في يوم شديد الريح فكمن لهم الشرافة بخولان فغاروا عليهم فجاء فانهمز الناس وقتل من اهل فاس نحو من الفين وغالقت الابواب واضطربت المدينة وهاج الشر بسبب ذلك مدة وخرج اهل فاس مرة لمقاتلة عبد الله بن الشيخ فهزموه واسروه وبقي في ايديهم فغفوا عن قتله واطلقوه وذهبوا خلفه حتى دخل داره بفاس الجديد ولما قتل ابوه الشيخ وبلغته وفاته استبد بفاس وما انضاف اليها على وهن وفشل ربح وعزم ان يتوجه لالاخذ ثارده وازمع للمسير لذلك ووافقه سليمان والفقير المربوع واصحابهما فامتنعت العامة من الذهاب لذلك لان الشيخ لم تبق له في

نفوس المسلمين مودّة حيث باع العرائش للنصارى فاجتمعت العامة بجامع القرويين وقالوا لا نقبل سليمان ولا المربع وحاصوا حصة حمر الوحش واتخذوا رؤساء آخرين فوقع بسبب ذلك شرّ عظيم ووقع الفلاء حتى بيع القمح باوقيتين وربيع للمدّ وكثرت الاموات حتى ان صاحب المرستان احصى من الاموات من عيد الاضحى من عام اثنين وعشرين الى ربيع النبوي من العام بعده اربعة الاف وستماية وخربت اطراف المدينة وخت المداشر ولم يبق بالمطة الا الوحوش وكثر النهب في القوافل وفي المحرم فاتح سنة وعشرين واتفق قبض سليمان اربعة من كبار الشراقة ثم قتلهم فوجهم له اللمطيون وخاف الناس على المدينة وتوقعوا الشرّ وسكن الرعب في القلوب حتى وقعت بسبب ذلك هزيمة في كلّ مسجد له خطبة بفاس كان الامام يخطب بجامع القرويين والناس في صحن المسجد فوقع مطر غزير فابتدر من في صحن المسجد الدخول تحت السقف فظنّ الناس ان سليمان غدروه الشراقة فانهمزم الناس وهربوا من المسجد لا يلوى احد على احد وبلغ الخبر للطالعة فكان كذلك وفي يوم السبت الخامس من صفر سنة ستّ وعشرين قتل سليمان غدراً في جنازة لمطى خرج بها قتله المربع وقتل اباه وابناء عمه وستّة من اصحابه ودفن مع والده في مسجد الجرف ولما مات سليمان بقيت المدينة في يد المربع اللمطي وتالف عليه اللمطيون وتقوى بهم ثم قدم اخوان سليمان من رزهون وراموا الغدر بالمربع فظنّ لهم ووقع بينه وبينهم قتال مات فيه نحو مائة واحد وثلاثين رجلاً وسلم المربع ثم انّ المربع واصحابه اتوا برجل كان يتعبّد بزرهون يقال له عبد الرحمن الخنود في جمادى الاولى سنة سبع وعشرين وراموا ان يملكوه ويجمعوا عليه فانزلوه مع اصحابه بروضة سيدي على بن حرزهم فبلغ الخبر للقائد احمد عميرة وزير عبد الله بن الشيخ فأتى الى الروضة وفكّ باصحاب الرجل ولجأ الرجل لداخل الروضة بضريح الشيخ ابن حرزهم فرموه من طاق هنالك فقتلوه وسقط على القبر ميتاً ولما سئم اهل فاس من الحصار وضاق بهم الحال من غارة الاعراب

ذهبوا الى عبد الله بن الشيخ بنفاس الجديد ونصروه واطهروا له المحبة ففرح بهم غاية وتحالفت العامة والخاصة على نصره والاذعان له فعفى عنهم عبد الله بن الشيخ وصفح عن كل ما سلف منهم له وصلاح حال الجميع وبعث وزيره للمربوع بالامان فلم يصدق وخاف على نفسه وصمم مع اللمطين على قتال عبد الله بن الشيخ وتهايا لذلك حتى لم تصل بالقرويين الصلوات الخمس ثم ان وزير عبد الله القائد عميرة نادى بالامان على اللمطين فهرب اللمطيون عن المربوع حتى لم يبق معه الا القليل فبعث له عبد الله بالامان سبخته وخاتمه فلم يامن وهرب ليلاً لبنى حسن فاخذته شيخهم سرحان واقي به لعبد الله فعفى عنه وسرحه لداره فعادت دولة عبد الله لشبابها وتهايا له الامر وتمهدت له البلاد ودانت له العباد وذلك في جمادى الاولى عام سبعة وعشرين والالف فجمع الجيوش وبعث بعض اجناده لحصار تطاون وبعضهم لقبض الاعشار وبعث وزيره حم بن عمر مع المربوع لانجرا موضع من جبال الزبيب فغدر المربوع بالوزير وقتله اعتماداً على كلام سمعه من عبد الله فغضب عبد الله واسرها في نفسه ثم في يوم الاثنين ثالث ربيع النبوي عام ثمانية وعشرين والالف قتل المربوع اللمطي ونهبت داره ثم بعد ايام وظف عبد الله على اللمطين ثمانين الفا فقتل عليهم امرها وهربوا فاسقط عنهم النصف منها والامر لله عز وجل

ذكر الخبر عن قيام محمد بن الشيخ المدعو بزغودة

على اخيه عبد الله بن الشيخ وما وقع بينهما في ذلك

قال في شرح زهرة الشماريح لما راى اهل بلاد الهبط ما وقع من افتراق الكلمة وتوقد نيران الفتن بايعوا محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على ضريح مولانا عبد السلام بن مشيش نفعا الله به وكان الذي قام بدعوته السيد الحسن

بن علي بن محمد بن ريسون وباعوه على إحياء دين الله وإماتة الباطل وإقامة الحق فلما بلغ خبره أخيه عبد الله خرج لقتاله فلما التقى الجمعان هزم عبد الله ودخل محمد فاساً في شعبان عام ثمانية وعشرين واللف وقبض على بعض عمال عبد الله فقتلهم واستصفي أموالهم وفي آخر شعبان المذكور وقعت المعركة بينهما بمكناس فهزم محمد ودخل عبد الله فاساً في مهل رمضان وظهر العفو عن الخاص والعامة ثم قتل أهل فاس قائده ابن شعيب واخذوا حذرهم من عبد الله الشيخ ووقع قتال بين أهل الطالعة وفاس الجديد أياماً عديدة حتى اصطلحوا تاسع ربيع الثاني من عام تسعة وعشرين واللف ثم إن عبد الله خرج لمقاتلة أخيه محمد ف وقعت المعركة بينهما ببتهت فهزم محمد وفر شريداً إلى أن قتله ابن عمه أحمد بن زيدان كما يأتي ذكر ذلك إن شاء الله وفي يوم الجمعة خامس ذي القعدة من عام اثنين وثلاثين واللف قتل النقيب الشهر القضاي أبو القاسم بن أبي النعم بعد أن نزل من صلاة الجمعة بفاس الجديد قتله الأصوص بباب المدرسة الغانية لأنهم اتهموه بالخيل لعبد الله بن الشيخ فوقع بسبب قتله شر عظيم بين أهل العدوتين بفاس ولم يزل عبد الله في معالجة أهل فاس تارة يميلون إليه وتارة يخرفون عنه لقبح سريرته وفساد طويته حتى كان قائده مامى العليج ينهب الديار جهاراً ويعطى لعبد الله كل يوم عشرة آلاف ثمان ينهب من الناس من غير جريمة ولا دعاة وقام عليه بمكناسة الزيتون أمها الله أيضاً رجل يقال له الشريف أمغار وقام عليه بتطاون المقدم أحمد النفيس ولم يبق له إلا فاس الجديد وأما فاس القديم فتارة بتارة كما ذكرنا قبل لأنه استولى عليها سليمان والمربوع ولما قتل كما ذكرنا قريباً قام بفاس محمد بن سليمان اللمطي وعلي بن عبد الرحمن فقتل ابن سليمان وقام ابن الأشهب مع ابن عبد الرحمن المذكور ف وقعت بينهما مقاتلات وحروب ثم قام الحاج علي سوسان وابن العربي وتولى أيضاً يزور ومسعود بن عبد الله وغيرهم من القيام وكانت فاس في أيام هولاء على فرق وشيع لا يأمن التاجر على نفسه إلا أن استاجر باحد من هولاء

ووقع من الفتن ما اظلم به جو فاس وثمن افقها الذي كان عاطر الانساس
وخلا أكثر المدينة واستولى عليها الحراب ودام الشر بين اهل العدوتين حتى
كدت فاس ان تضمحل ويعفو رسمها وحدث غير واحد من الثقة ان الشر
لما دام بين اهل العدوتين ولم يكن لاهل الاندلس غلبة على اللمطين قال
الشيخ العارف بالله سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي لا يغلب احد اللمطين
ما داموا مواظبين على قراءة حزب الشاذلي الكبير وكانت طائفة من اللمطين
يقرءونه صباحاً براوية سيدي رضوان من عدوة اللمطين فسمع بذلك اهل
عدوة الاندلس فاحتلوا على ابطال قراءة ذلك الحزب فبعثوا رجلاً يحتال
على اولئك الذين يقرءونه فاستضافهم وباتوا عنده جميعاً في منزله فلمّا طلع
الفجر او كاد زعم ان مفتاح الدار ضلّ وسقط ولم يزل يعاني فتحها الى ان
طلعت الشمس فخرجوا ولم يقرءوا الحزب ذلك اليوم فاخبر اهل الاندلس
فحملوا على اهل عدوة اللمطين فهزموهم وحكموا فيهم السيف وكانوا لم
يجدوا لهم سبيلاً بركة قراءتهم حزب الشاذلي وذكر بعضهم هذه الشرور
حكى ان عبد الله بن الشيخ في بعض غلباته لاهل فاس في ثورانهم عليه
استشفعوا له خوفاً منه وطلباً لرضاه عنهم بالوليين والصالحين المجذوبين سيدي
جلول بن الحاج وسيدي مسعود الشراط وكانا على قدم الملامية فلما وقفا بين
يديه قال ما وجد اهل فاس شفيحاً يقدمونه الي غير هؤلاء الخرائين في ثيابهما
فغضب سيدي جلول وقال والله لا تصرف فيها يعني في فاس احدي واربعين
سنة وانصرفا فقبل ان عبد الله انقلب معدته فخرج غائطه من فيه ايّاماً الى
ان اتى بالشيخين فاسترضاها وكان امر فاس كما قال سيدي جلول لم يطاطىء
رؤس اعيانها ملكاً الى ان جاء الله بمولانا الرشيد بن الشريف رحمه الله كما
سياتي وكمّت المدّة وأما كان يتصرف فيها اللصوص ويسمونهم اهل فاس السباب
وهذه حكاية صحيحة سمعتها من غير واحد وملكها ما ذكرناه ولم يزل عبد
الله في محاربة اهل فاس القديم من عام عشرين والف قبل وفاة والده الشيخ

بنحو عامين وبعد وفاته الى ان توفي عام ثلاثة وثلاثين والف بسبب مرض اعتراه من اسرافه في الخمر وادمانه عليه وكان لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً ويتعاطاه اسراراً وجهاراً ومن اثار عبد الله بن الشيخ القبة التي على الحصة الكائنة تحت المنارة في وسط صحن جامع القرويين فإنه لم يكن في القديم الا القبة التي على الحصة المقابلة لها شرقي الجامع المذكور حدثني شيخنا الفقيه الحافظ ابو الحسن عليّ ابن احمد قال شيخ شيوخنا الفقيه الامام ابو عبد الله محمد بن احمد ميارة يقول ان احمد بن الاشهب الذي تقدّم ذكره قبل من القيام اخبره النبي صلى الله عليه وسلم قال والحديث بذلك مذكور في كتاب الجامع الكبير للحافظ جلال الدين السيوطي

ذكر الخبر عن بقية احوال زيدان بن المنصور

وما كان من امره الى ان توفي

كان زيدان رحمه الله من لدن مات ابوه في محاربة اخوته وابنائهم ومقاتلة القائلين عليه من الثوار الذين تقدّم ذكرهم ولم يخل قط في كلّ سنة من أيام دولته من هزيمة عليه او وقعة باصحابه ووقعت بينه وبين اخوته معارك يشيب لها الرضيع وكان ذلك سبب خلاء المغرب وخصوصاً مدينة مراکش وما عدّ من نحس زيدان واستدلّ به على فشل ريج زنده أنه في بعض الوقائع بمث الكاتب عبد العزيز الثعالبي بشرة قناطير من الذهب الى ملك اصطنبول وطلب منه ان يمدّه ببعض اجناده كما فعل مع عمّه عبد الملك الغازي رحمه الله فجّهز له السلطان العثماني من جيش الاتراك اثني عشر ألفاً وركبوا في البحر فغرقوا جميعاً ولم ينج منهم الا غراب واحد فيه شردمة قليلة وكان زيدان على ما وصفناه قبل وقع بينه وبين اخيه الشيخ وولده عبد الله حروب عظيمة واخرها

انّ عبد الله لما سمع بنزول النصارى دمرهم الله على العرائش استصرخ في الناس وحضهم على الذهاب للجهاد قهيووا لذلك وعزموا على اغائة العرائش فما راعهم الا زيدان اقبل من ناحية ادخسان ونزل بمقاربه وضرب انفاضه فانهمز الناس عن عبد الله ودخل الشرافة فاس فبعث زيدان قائده عبد الصمد لتسكين روعة البلاد وامر المتادي ان ينادي بنصره فنزل المتادي وهو ينادي الى ان بلغ باب السلسلة فقام في وجهه بعض السياب من اهل العدو فضربه وجرحه فرجع وبطل الامر فبلغ الخبر لزبدان فاطلق السيل في اهل فاس وحكم فيهم السيف ثم ندم واطلق النداء بالعدو عنهم وسكن روعتهم ونزل زيدان بوادي فاس فخرج الناس للقاءه واستولى على فاس فخطب عليهم وجعل يسب جماعتهم وهم يقتل بعض اعيانهم ولكن الله سلم ثم ان العرب اجتمعوا عند القنطرة المهدومة في نحو ثمانية الاف فخرج اليهم زيدان ومعه عرب الشرق فهزم ولم يبق معه الا رهط قليل فرأى زيدان امامه ابلا قليلة فقصدهم فاذا فيهم عبد الله بن الشيخ فهرب مع ان زيدان اتما قصد الفرار فتراجع اصحاب زيدان اليه ومن الغد خرج اليه اهل فاس يهتونه كباراً وصغاراً فظن انهم قصدوا الاستهزاء به فامر بهم فسلبوا رجالاً ونساء وبقي بعضهم ينظر الى عورة بعض وكان عدد السلب عشرة الاف كسوة ودخل اصحاب زيدان فاساً فنهبوا وفعلاوا بها الافعال القبيحة ثم امر زيدان بتسكين الروعة والامان وكان ذلك كله سادس رجب عام تسعة عشر والالف فلما كان حادي عشر من الشهر نزل عبد الله بن الشيخ براس الماء وخرج اليه زيدان فالتقيا فهزم زيدان وقتل من اصحابه نحو الخمسمائة وفر بمحلته التي ترك بادخسان وهذا كان اخر رجوع زيدان لفاس وفي كتاب ابتهاج القلوب في اخبار المجذوب ما صورته تكلم الشيخ الرباني سيدي قدار يوماً في ملوك وقته فقال اما الشيخ معطى العرائش للنصاري فان اهل الله قد دقوا اوتاده هنالك حتى يموت فلم يعد ذلك الموضع الذي قال حتى مات به حوز تطاون بموضع يقال له فيج الفرس وذلك سنة اثنين وعشرين

والف وأما زيدان فقال ضربه مولاي ادريس برجله لما اطلق السيل في
اهل فاس ضربة صيرته وراء وادي العبيد فلا يجاوزه ابداً فلم يرجع لفاس بعد
ذلك . واقتصر زيدان على مرآكش ونواحيها وكان رحمه الله غير متوقف في
الدماء ولا يبالي بالعظائم وهو الذي سمّ الفقيه العلامة قاضي الجماعة بفاس سيدي
عليّ بن عمران السلاسي بعد ان سجنه لامر بلغه عنه وفي أيام سجن القاضي
المذكور كتب الاديب الكاتب ابو عبد الله محمد بن احمد المكلائي بهذه الابيات

اما لهلال غاب عنا سفور	فيجلى به خطب دجاء ثبور
تصير لدمر راح ينحك الاسى	وانت عظيم والعظيم صبور
سيظهر ما عهدته من جمالكم	فالمبدر من بعد الكسوف ظهور
وتحي رسوماً للمعالي تغيرت	فالميت من بعد المات نشور
ابا حسن اتى على الحب لم ازل	مقيماً عليه ما اقام ثبور
ففى فى ماء من بقايا جنائكم	فطعمه عندي سائح وثير
عليكم سلام الله ما هطل الحيا	وغنت باغصان الرياض طيور

فقال منشدها انشدتها له بمحبسه فبكى حتى ظننت انه سيهلك ثم افاق وتلا
الاية لله الامر من قبل ومن بعد ثم بعد أيام راجعنى رضى الله عنه جواباً
بابيات وهى هذه

نفثت عن زهر الربيع سطور	فما هى الا روضة وغدير
هزمت من الصدر الجريح همومه	فانت على جند الكلام امير
محمد هل في العصر مثلك شاعر	له معلم في الحافقين ظهور
بني كذلك الوداد واتى	سأشهد قلبى بالهموم كسير
مضى وعسى يشي الزمان عنانه	بعثرة جد والزمان عشور

فتدرك امال وتقضى مئارب وتحدث من بعد الامور امور
عليكم سلام الله منى واتنى غريب باقصى المغربين اسير

ومن نظم القاضى المذكور ايضاً تحمّساً رحمه الله بيتين لاميير المؤمنين ابي
العبّاس المنصور

رمانى باحظ منه يا قوم فاتر فيا عجيباً من فاتر وهو باثر
ولما جئنا حبي ومالك سائر طرقت حماه والاسود خوادر
به فتولى بي الظما وهو بعيد
الم يدر آتي قادم ومقدم وفي الحرب والهيجهازير وضعف
ولست ابالى ما الحيس العرمم فعلمت اساد الثرى كيف تقدم
وعلمت غزلان الثقايف تشرد

وكان قتل القاضى المذكور في مهلّ ربيع الاول عام ثمانية عشر والف وكان
زيدان فقيهاً مشاركاً متضلّعاً من العلوم وله تفسير على القرءان العظيم اعتمد
فيه على نقل ابن عطية والزحشرى وكان كثير المراء والجدال كما وقع له مع
سيدي احمد بالقاسم الصومعى وله شعر لا باس به ومنه قوله

اهلكتنا سوائف وخدود وشعور على المناكب سود
ووجوه تبارك الله فيها وعيون مدعجات رقود
اهلكتنا الظبا ونحن اذلة وخضعنا لهما ونحن اسود

وقوله ايضاً

مررت بقبر رائق وسط روضة عاها من النوار مثل الفارق
فقات لهم هذا فقالوا بدلة ترحم عاها انه قبر عاشق

وكانت وفاته رحمه الله سنة سبع وثلاثين والف ودفن بجانب قبر أبيه رحمه الله من قبور الشرفاء بظاهر قبلى جامع المنصور وتما نقش في رخامة على قبره

هذا ضريح من له	يفتخر المفخر
زيدان سبط احمد	مبتكر المئاتر
حامى حمى الدين بك	لى دابل وبتار
اجل من خاض الوغى	ولاعادي قاهر
لا زال صوب رحمة	الله عليه ماطر
ومن شذا رضوانه	نفحة كل عاطر
ارخ وفاة من غدا	جاراً لرب غافر
بمقعد الصديق على	ذوي المعالي ناصر

ووزرائه الباشا محمود ويحيى اجانا الوريكى وغيرها وكتابه كاتب ابيه عبد العزيز الفشتالي وعبد العزيز بن محمد الثعلبي وغيرها وقاضيه ابو عبد الله الرخراشي

ذكر الخبر عن عبد الملك بن الشيخ

بن ابي العباس المنصور

قال في شرح زهرة الشماريح لما توفي عبد الله بن الشيخ ولي اخوه عبد الملك في شعبان عام ثلاثة وثلاثين والف ولم يزل مقتصرأ على ما كان صفا لآخيه الى ان توفي سنة ست وثلاثين والف

ذكر الخبر عن ابي العباس احمد الاصغر

ابن السلطان زيدان ابن السلطان المنصور

قال في شرح الزهرة لما توفي السلطان زيدان بمراكش قام ولده احمد ودخل فاساً بعد وفاة ابيه بسة واربعين يوماً وذلك يوم الجمعة الخامس والعشرين من صفر ومار يضرب سكتته وفي ثالث عشر شوال قتل ابن عمه محمداً الشيخ المعروف بزغودة غدرأ بالقنصة وفي احد عشر من ذي الحجة سجن بدار الملك من فاس الجديد ولم يتم له الامر

ذكر الخبر عن السلطان ابي مروان عبد الملك بن زيدان

بن احمد المنصور وما وقع في ذلك

ترك زيدان من اولاده عدة منهم عبد الملك والوليد واحمد ومحمد الشيخ وغيرهم ولما توفي زيدان كما ذكرنا ببيع من بعده ابنه عبد الملك المذكور ولما تمت له البيعة ثار عليه اخواه الوليد ومحمد الشيخ المذكوران ف وقعت بينه وبينهما حروب ومعارك الى ان هزمهما واستولى على ما كان في يديهما من الذخائر والعدة وكان فاسد السريرة مطموس البصيرة وبلغ من قلة ديانته انه ترايد له مولود فاطهر انه اراد ان يحتفل بسابعه فبعث لنساء اعيان مراكش وخدامه ان يحضرن وطالع هو لمارة في داره فنظر للنساء وهن منتشرات قد وضعن ثيابهن فايتهن اعجيته بعث لها وكان مدمناً على شرب الخمر الى ان قتله العلوج بمراكش وهو سكران يوم الاحد السادس من شعبان سنة اربعين والف ودفن بجانب قبر ابيه رحمه الله ومما راينه منقوشاً في رخامة على قبره

لا تقنطن فان الله منان وعنده للورى عفو وغفران
ان كان عندك اهل ومعية فعند ربك افضال واحسان

ووزراؤه محمود باشا العليج وجؤدر ويحي اجانا الوريكى وغيرهم وقضائه عيسى
بن عبد الرحمن السجستاني بمراكش ومفتيها الفقيه احمد السالمي رحمهما الله

ذكر الخبر عن دولة السلطان الوليد بن زيدان

بن احمد المنصور السعدي

لما هلك السلطان مولاي عبد الملك بن زيدان بوج اخوه مولاي الوليد
بن زيدان في اليوم الذي توفي فيه اخوه وهو سادس شعبان سنة اربعين والـ
قال في شرح الزهرة وكان الوليد متظاهراً بالديانة لين الجانب حتى رضى
الخاصة والسامة وكان مائلاً للعلماء بكليته متواضعاً لهم وآلف له القائد على
الطيب منظومته الشهيرة في الفواكه الصيفية والحريفة والـ له القاضي عيسى
بن عبد الرحمن السجستاني شرح صغرى الشيخ السنوسى ومحاسنه رحمه الله
كثيرة وكان الوليد يقتل الاشراف من بنى عمه واخوته حتى اغنى اكثرهم
وسجن اخاه محمداً الشيخ الاصغر اذ كان يتخوف من شقه العصا عليه واتزاع
خانم الملك من يده وفي أيامه وقع الغلاء وفي عام ستة وثلاثين كانت زلزلة
عظيمة عند فجر يوم السبت الثالث والعشرين من رجب وفي خامس شعبان
من السنة نزل برد عظيم على قدر بيض الدجاج وأكبر واصغر ورثي حاجر
منها نزل على خيمة فخرقها وهرب اهلها وبقي لم يذب ثلاثة أيام على ما قيل
وكان الوليد مولعاً بالسماع لا ينفك عنه ليلاً ولا نهاراً ولم يزل مقتصرأ على
ما كان لآبيه الى ان قتله الاعلاج وسبب قتله أنهم طلبوه في مراتبهم واعطياتهم

على العادة وقالوا له اعطنا ما ناكل فقال لهم على طريق التهم كلوا قشور
الارنج بالمسرة فغضبوا من ذلك وكمن له اربعة منهم فقتلوه غدراً يوم الخميس
الرابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة خمس واربعين والاف والامر
لله عز وجل

ذكر الخبر عن دولة السلطان محمد الشيخ الاصغر بن زيدان

بن احمد المنصور رحمه الله وما وقع فيها

لما قتل السلطان مولانا الوليد كما شرّخناه قبل اختلف الناس فيمن يقدمونه
للخلافة ثم اجتمع رايهم على مبايعة اخيه مولاي محمد الشيخ والقضاء القياد له
فاخرجوه من السجن وبويع بمركش يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان
سنة خمس واربعين والاف ولما بويع سار في الناس سيرة حميدة والان الجانب
للكافة وكان في نفسه متواضعاً صفوحاً عن الهفوات متوقفاً على سفك الدماء
مائلاً للراحة والدعة الا انه كان منكوس الراية مهزوم الجيش وبسبب ذلك لم
يصف له مما كان بيده الا مرآكش وبعض عماله وفي أيامه قويت شوكة اهل
الدلاء وانتشرت كلمتهم في بلاد المغرب وبعث لهم قاضيه الفقيه العلامة ابا عبد
الله المزوار المراكشي فطلب منهم ترك الشقاق والرجوع لاجتماع الكلمة
ويحتج عليهم بان اباهم الولي الصالح سيدي محمد بن ابي بكر كان بايع اخاه
مولاي الوليد بن زيدان والتزم طاعته وانكم اولى الناس باقتفاء طريقته واتباع
منهجه فلما بلغهم القاضي المذكور وادى الرسالة ونثر عليهم ما في العيبة وبين
قصده اعتذروا له بمسائل وتعلموا عليه بوجوه وقد وقفت على رسالة كتب
بها السلطان مولاي محمد الشيخ المذكور اليهم بعد رجوع القاضي المذكور
من السفارة وهذا نصها على التمام والكمال الحمد لله الذي نصب الدول في

الاصفاح حصوناً ذات اسوار لصون النفوس والحريم والاموال والشرائع وحض
على فري فرع واصل العادين الثوار الساعين بالاعتناء في هذ قواعد الجماعة
بانواع البدائع ونشهد انه واحد ما له في فسيح وجوده شبه ولا شريك ولا
قادر يقوم دونه بوظيف كل ضرير وضريك او يستفتي فينيك عما في كنه
غيبه او يريك يفعل ما يريد ويختار ويقبل وتضرع انظرين ويقل العثار وان
سيدنا ونينا ومولانا محمداً عبده ورسوله الى الاحمر والابيض والاسود ونعم
الشفيع غداة يعثر العاثر ما لم يكن بعهدته تعود صلى الله عليه وعلى آله الاجلة
الانجباب والخلفاء والاصحاب ما تبسمت البساتين ومدامع تحن السحاب الرضى
عن كل تابع بعد تابع العاقدين على تشبيه هذا الدين عقد الاصابع هذا ولنصرف
عنان عرضة الغرض لمن عينا لمننون العتاب المفترض من هم في دقائق الحجاز
مرابطون وفي حلائق الجواز ضابطون اهل وطن الدلاء لمن لورود الشرب
محتاج السيد ابي القاسم بن ابراهيم والسيد عمر والسيد محمد الحاج ومن
لنشر صحف الانصاف منهم مطابق كالسيد عبد الخالق سلام عليكم ما اثرت
المواعظ في اصلاب الطباع وفترت الحفائظ عن المتعوز بها خطوات الشيطان
وسطوات السباع ورحمة الله تعالى وبركاته ما صانت اشعة المصباح مشكاته
والا وقد كاتبناكم من الحضرة الدامغة هامات الجاحدين والملحدين همراء
الامتونة والموحدين كتب الله لها منكم وقاية من لا يعنو عما صنع وبراءة من
رام تزويجها كرها فتعوق عنها وامتنع ولا زائد بعد الخطبة التي هي عند الادباء
براعة الاستهلال وبضاعة يعرب عنوانها عن معنى الحال والاستقبال الا قصد
استيقاظكم من السنة التي طال لطلوع الشمس من المغرب ليلها وامتد كارض
المحمر فرسخها وميلها هل هذا منكم استحقاق بحظوة الخلائف او تعام او
نصام عما يجب على الرعايا من لوازم الوظائف هذا من العار الماحي لصحو
المناقب ولا ياوي من توخاه الا المهيح لا تحمد لمتجبه العواقب سيما من نكت
البيعة على من ولاه المعين بسطة المعمور وحمله اعباء القيام بما يحدث من تصاريق

الامور بشرط ان يزن فيعدل ولا يغير ولا يبدل وان يذبّ عن حفظ بيضة الدين بالرماح والسهم والتضول ويحسم اعناق الزائمين عن الابواب والفصول خصوصاً مثلهم الذي شقّ عوا الشقاق وشرع يمدّ ايدي الاطماع في استخلاص القبائل في الافاق على العموم والاطلاق الحكم البله والوله في حصون الجبال كلماوشى وكنتم لا تدرون لباس القمص ولا الشواشى الى ان جسرکم على وطء الغرب واخذکم معه المغترّ محمد العياشى بدّد شمل الشرافة على سيخة ابن احمد وترك غيرهم اعمش وارمد يتردد في همع الكمد وهمع بكلّ ما زاغ ومازغة حتى اوطاهم على جبال بنى يازغة فخلا لكم الجوّ وشرعت تمّد اليکم اعناق الدو فبنتم اذّلك موائد الضيوف وتقلّدتم بلا حياء السيوف واعانکم اضطراب القبائل عام وقوع الجوع ومن مضى لايّ قطر تعذّر عليه الرجوع ان مكّتم من نواصياها وازقتها ضعاف الرعايا وكلّ عنيد من رباط تازى الى وادي العبيد فاستحليتم سكرأ بجبايات من الابريز والفضّة وفروج اماء الشاوية ما بين الحمراء الحريّة والبيضاء الفضيّة المفضة الى ان جمعتم منها ما لا ينحصر بواسطة القراني والمتنصر من غير ان تنفتوه على اقامة جنبد يصدم بقوة وشدّته ذوي الصليب الكافر او تحتطّوا مدينة او سوراً او جسراً يحصل ويتّصل لكم بفعله الذكر الجليل والثواب الوافر ولا انتفع به الا شيع المومسات الثواب وشياطين الفساد والشراب ولم تراقبوا مكر من رفعکم عن عماء عموم البرابر واقعدکم في القباب على الاسيرة وفي بيوت الله على الكراسى والمنابر خلت من غواياتکم ان عربن الغاب خال من النور والضراغم اللواتي لانوف الطغاة والبغاة رواغم عويتم علينا معشر الثوار كالذئب من كلّ عراء وشعبة لتكون عزيزة نهوضا اليکم معطلة صعبة وانا لا ندري ابن تميل النفوس وتطاطا له الرؤوس هل للملك الصحاري او لرئيس ايلخ السوس حلتموننا سخريا خوامل كظفر فريش عبد الرحمن الداخل لكن من الحزم ان نبه كلّ ذي غفلة سكران من نشوة الرقدة ونخترط حارم الصولة القساطع لعري كلّ لبة وعقدة على ان الملوك لهم ولاية

تصانيف المجموع على جانب كل زعيم فعليه نافذ وقوله مقبول مسموع لا سياً
وهذا الغرب الذي لا يزال ملاناً من نوامس كل كاهن ومراهن قرقار تسمى
فيه البومة خاملة الذر وتصبح بالخناب والمنقار ومعادن اللمز والغمز والهمز
والنبر والمجون هم الزوايا والرباطات والفنادق والطرازات والاسواق
والسجون وفيما سلف من دول المغرب الزام تحريض الصغار على تعلم
انواع العلوم والصنائع وتعنيق الكبار المعتكفين في حلق الجامع وقد اذهب
على السوس هبتها عن تحت يده من البلدان بسرف هبة الذهب واللحين
والخيول والاماء والعبدان لكن من صفته يئناه لا يمكنه ان يئين او يتحسر
او يبكي ومن عقد مقوده لمعصم سواء فاساء به لا يتصرع ولا يشتكي
اهملناكم وامهلتناكم واهلناكم واقنناكم لعوائدكم من العبادة واطعام الطعام فظلمتم
لنا في الاعناق عظماء زعام لم تعلم الفقراء الا بجرمة جاء الدخيل على صالح
او زواج كسماح الشحيح البخيل وما كفاية كل عاد تعدى دون تكليف طوره
الا ان يعجل المنتقم سبحانه تعيره وعوره واحرى من باع ولا تخلص بالدينا
عرضه ومروءته ودينه ليضيع الحق ويشيع الجور في كل بادية او مدينة بحجال
اللهو بين حامية وبهو وحتى الان دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا على كل من
اطاع او عصى من وجدة الى حدود السوس الاقصى فتجهز لكم فيما يقوم
بحق تلك الزاوية واهلها بشرط ان تفيق من استغراق الغفلة حياة اهلها
وان امسكتهم اقدام الانقياد عن سلوك سيل السداد وقبول رسوله فاذنوا
بحرب من الله ورسوله فقد شيعنا نحوكم فقيها وقاضينا ابا عبد الله السيد محمد
المزوار فصددتموه اوصب صد وانقلب على الحاقرة ورد اقبح رد ولو لم
نبال بكم بالفكر والذكر ما صرفنا فيما سلف وصيفنا الامير مبارك السوسى
فشيّد واشاد وبني واجاد ضريح والدم السيد محمد بن السيد ابي بكر فدستهم
خالص عرضه وضيعتم لازم مسنونه وفرضه وانه لنا عليكم بريد وبصيرة بما
انطوت لكم عليه غرة الحصيرة فقص علينا دون ان نفحص ان عين الجهش

في الناذر وأن من غدا في امداد وغدا الاوناد وجد عينهم غادر وعيهم عن صفو الموارد صادر وعلى هذا ان لكم نسبة لروعان الثعالب فحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الحفيل ولا يسعنا ان ندعكم مع اشراف سجلماسة مع بنى موسى تلعبوا بنا كهراً الغالية في القفص لا يغتم غناء غلته الا بوخر المصال التي تكلفه الرقص حلبتم ضروع الاقطار في البلاد باليمن والشمال ونفضتمونا كما انتفض الاثواب من درن الرماد والرمال وحاصل الغرض تودية البيعة بقول وفعل واعتقاد كما عقدها ابوكم الابر الجواد المرحوم الفاضل المجيد لآخينا الارضى مولاي الوليد لنتنظم بعون الله كلمة ملة الاسلام ولا يبقى للغير فعل وكلام لو فعلتم لاقفنى اترككم جموع المنتجعين والامصار ولا يبقى من يهني لغيرنا باذان ولا يطمح بابصار وان عظمت اليكم مفارقة حبّ الرؤوس والذنب والايدي والفت ركوب بنى الوجية واللاحق لا الاعراس والصيد فانظروا صبيحة طلوعى عليكم طلوع الفجر على غسق الليل يسيل كموج البحر والرماة والحيل وتغمركم من باسنا غمائم شديدة الغمرة وينفذ فيكم الحكم العدل نهيه وامره انشر بعونه ما انطوى من المراحل وندم بعدكم دولة الاشراف السجلماسية ونلوي على زاوية الساحل الى ان تعود الايالة الشيخية علوية عليّة بحسن الحال وصيت الذكر او تهوى لحضيض بنى سعد بن بكر وليكن ما ابصرتموه لانفسكم من صدق الصفا جواباً وصواباً والعاقل احسن مفتاح حلّ ما انعضض من الابواب وليعلم منكم اي نبراس يخرجنا من حرج هذا الحنّس وهل قبلة عبادتكم مكة او بيت المقدس وليكن منّا هذا ختام مفيد الكلام والسلام وكان المخترع لها محمد بن عبد الرحمن ببستان جنان ميمون من قصبة الحضرة المراكشية حرس الله اوطانها ومتّع بالهناء رعاياها وسلطانها ضحوة يوم الاثنين حادي عشر جمادي الثانية من سنة سبع واربعين والفي اتى وهذا جواب اهل زاوية الدلاء الحمد لله الذي له الملك الكامل في الدنيا والاخرة وعليه الاتكال واليه المصير يستدرج بحكمته الانسان من

حضيض دقايق الهوان للحضرة البادخة الفاشرة وهو العلي العظيم السميع
البصير يضع بعدله اقواماً اعزّة ويرفع بفضلته خوامل اخر ولا يسأل عما يفعل
وهم يسألون كل واحد على الذي قدّم واخر وما كانوا يعملون ونشهد ان لا
اله الا الله وحده لا شريك له الصادق الصمد الباقي على الابد والدوام السرمد
الامد وان سيدنا ونبيّنا ومولانا محمّداً عبده ورسوله المبلغ ليمين الامانة ليكرع
في حياض الايمان والاسلام من تأخر عنه ومن ادرك زمانه صلى الله عليه
وعلى آله نجوم السعد وصحابته رجوم من رمى دين الهدى بالسهم البعد وعلى
جبهة التابعين ومن تبعهم على مساق الرشد مهطعين سامعين وبعد فقد اجلنا
الخطاب جواباً لمن زكى وتائل فرع اصله وصاب ابي عبد الله مولانا محمّد الشيخ
نجل امير المؤمنين ابي المعالي مولانا زيدان ابن الاثير الهمام الاوحد امير
المؤمنين ابي العباس مولانا احمد احمد الله لنا ولكم وللمسلمين الاوائل
والعواقب وجدّد لكم ما غرس الاجداد في المغرب من محمود المناقب وسدّد
الموفق للفلاح اقوالك وافعالك واوطأ في بساط الطرب والانبساط نعالك وقاد
بالميمونة ناصيتك لقطع شأفة من نافق عنك وختر وللعهد نقد وخضر ونصبك
حصناً مصوناً لعرض من اقام آمناً او سفر او نفر سلام عليكم سلام من
اسلم اموره بعد القادر اليك ورحمة الله وبركاته ما غرد الطائر على مخضل
الايك فقد كاتبناكم من زاوية عبادة الهادي الى الصراط المستقيم العالم بحكمة
تفضيل المتبج على العقيم والظاعن وانقيم والستر المسدول على اصحاب الكهف
والرقم كتب الله لنا ولكم حجب الامن والنفو والعافية واسبغ علينا وعليكم
وعلى المسلمين خوامي حلى حلمه الوافية ولا زائد بعد حمد الله الذي وجب
على العباد حمده وشكره ونحتم تعبداً تقديسه وتسبيحه وذكره ولا نامن يغشنا
قضاؤه ومكره الا ان مسطوركم الاحرش لما ورد ساحتنا سلب منا الاذهان
والعقول كما صفدت صلابته الايدي عما تفعل واخرس صيته الالسن فالتفت
ما تقول فلا جارحة الا ولها من خبطه طنين فكادت الحبال تسقط المشائم

فضلاً عن الخجين فيا له من سوط الزجر الذي لا ينسى علينا طول السنين
 اسمعتنا غرائب لم تمر مدارتها على اهل الدهر الاتي والغابر ولو صرخ بها على
 جبانة لنهض اهل المقابر وليست هذه عوائد من سبقك لتلك الدرجة من الاعمام
 والاخوان منهم القريب لك والدك مولانا زيدان حتى سُمّتنا بالدلالة في اسواق
 المذلة والهوان وما نحن الا ركن ووكر لمن طرقة وصمة او غمّة غمّة او حذر
 اخاه او اباد او عمه يأمن لدينا بنفسه وذويه وفلسه متى عرته نكبة من هجر
 او وقعة لم يجد في الغالب مؤلاً سوى هذه البقعة وانت تمثل تدبيراً بشاره
 الاعلاج المجبولين على طبائع الخدائع والغش على تلّ قواعد ملكهم هناى عن
 عريش العش ومن الدليل والشاهد والبرهان فتكم باخيك مع مشورة النسوان
 على غيب من الجند والديوان عرضهم في المغرب نشر سنة الباس التي نشروها
 في المشرق بعد المعتصم من بنى العباس فلا تدعهم يخدمونك حتى يدركون
 فيتفكروا ما فعل ابائهم المشركون قاتلهم الله انى يوفكون وهم سلبوا روح
 جدك السمي من غمد الجسد وحملوا هامته في مخلاة من مسدّ وحركوا الى
 عمك مولانا عبد الله لواءى اللين حوز صنهاجة لولا ان اخي القيوم سبحانه
 صرف اغراضهم عن قضاء الحاجة وایم الله لئن داموا لك في الغرب فطانة
 حتى يطلتوا عليك ثلاثا او طائفة واما نحن فبيعة والدنا لكم لم نزل لنا في الاعناق
 وحظناها بشغف واشفاق ولا ينبغي ان تعاد فتكرّر كالظهير لمن اراد ان يتحرّر
 وايضاً منعنا من تجديد لها انسلال البربر عن ساحتنا فيكون اقوى سبباً لاحاطة
 حجاب الصون لفضيحتنا واجلها هذا الاجدل الذي لا تؤذيه سموم الليالي ولا
 حرارة قيظ المصيف مولانا محمد ابن مولانا الشريف عقاب اشهب على قنة
 كلّ عقبة لم يقنعه عدد المال عن حسم الرقبة وربما عرّتنا غفلة فيشنّ الغارة
 الشعواء على شعاب بشعوب ملوية او ينشر حيوشه على رباط تازى بالرايات
 والالوية سيما وجناحه ذروا النفوس النفيسة بربر صنهاجة ودخيسة بزا
 النزوات بالحلة والحال والغزوات والعايشى كما تعلمون كانت همة هجرته اولاً

لردع همة اهل الشرك ثم مد الخطا لطلب درجة الملك قد خدع دون وفقنا
طوائف البربر فخوض زروع العرب عام الجوع ليصنع لنا ولهم كفف العداوة
بالوقوع فكان الامر كذلك الى ان سدّ القدر المحتوم بيننا وبينهم المسالك واما
وصيفكم الامين مبارك السوسى حيث اناخ علينا كلشكل الاقامة لاختطاط ضريح
الوالد رحمه الله بما اقامه اقمنا بوظيف حقه الظاهر والباطن وسرّحنا له بعد
الاستراح اقدام الجولان حتى اختر بعين الحقيقة انجاد الاماكن واغوار المواطن
ولا شك ان حال مطالعته هي التي رخصت لنا في سوق خواطركم الاسعار
الى ان نصبت لنا بعد الرضى حبال العار الجالب للادعار وجد قبائلنا متبذرة
على ضمّ الجبوب في الصيف ولا عاينهم مستعدين على الخيول برمح ولا مدفع
ولا سيف فخالهم على غرة غنمة باردة ولا علم انهم اغوال القيل صادرة
وواردة فان كانت معايته هي التي اطعمتك ان يعودوا بعد العز نواب قادر ان
ظنه الحساوي خائب من ركب الخيل لنفسه دون راتب الخزن لا ترضى همته
ان يهان فيحزن وقاضيك السيد محمد المزوار حيث عاين وفود الاقاليم منتشرة
كالجراد على الازقة والادراب دون من لزم الابواب والحظ علينا العرصات
والقباب تحقق عياناً ان شمل الممالك والمملوك لا يكون منتظماً الا على عظماء
المملوك فقط عفا الله عنا وعنه عليكم وعلى من حضر ما اعتقد سمع ونظر وحتى
الان ان قصدتم الغرب والعرب او حصن فاس لا تنالكم منا مساء ولا باس
فبعد ان يكون لكم في المدينة البيضاء الجديدة والقديمة قرار يكون لنا بعد ذلك
حكم الاختيار بين ان ننوبك او نترك لك الديار او نستصرخ بمن هو مثلك
شريف حقيقّ وسلطان له شغف اكثر منك في ضبط الاوطان فقابل اذاك
القسورة بالساط وناقى بطانة من شاط لاسنان الامشاط ايها المغرب غلب نودى
له على غمة الرغم ما رغب وطلب وان انت قتعت بحوز الحمراء من مراكش
ورفضت عنك معاناة الهراش والشاوش فدعنا ومراعاة من تجارته الرياسة وهمته
اشترأ بقيس السياسة ضرغام غاب سجالماصة واما صاحب ايلغ السوس فما مراده

ودويه الآ غنيمة سلامة الاعراض ونجاة سلب النفوس وفيما تلوناه عليك من
القصص ابلغ كفاية في غنيمة العيش الارغد وتجريع الغصص فان غادرتنا
مستترين في حرمة الوقار والاحترام فقم وان زاحمتنا بمكسب الهوان والاحتقار
يدافعك عنا من ادعى انه زعم وان طرقنا مناخ عزم قصدك على عبر وادي
ام الربيع يجمع الله بين من يشتري ويبيع والسلام وكتب عن اذن جمهور
اخوانه عبد الله المسناوي بن محمد بن ابي بكر الدلاءي يوم الاحد ثاني وعشرين
من رجب الفرد الحرام عام سبعة واربعين والـ الف . وكانت بينه وبين اهل
زاوية الدلاء معركة انقشع غبارها عن هزيمته وذلك بموضع يقال له بوعقبة
احد مشارع وادي العيد ولما راي محمد الشيخ تعاضى اهل زاوية الدلاء عليه
واستحكام اهل المغرب لهم وتقويتهم بالعدد والعدة وضعف عن مقاومتهم
وعجز عن مقارعتهم صرف عنه عن عنادهم ومنازلتهم ومنواتهم ومال الى
مسالمتهم وقطع النظر عما في ايديهم وقد نبغ عليه رجل من هشتوكة خارج
باب الخميس من مراکش وقاسى في محاربته تعباً شديداً ولم يزل يناوشهم
القتال الى ان كانت عليهم الكثرة ففرق جموعهم وشق عليه ايضاً قبيلة الشياظمة
فقتلهم فكانت الملاقاة عند جبل الحديد فهزم هزيمة شنيعة والامر لله وحده
يعز من يشاء ويذل من يشاء وقد وقفت على رسالة كتب بها مولاي محمد
الشيخ المذكور لمولانا محمد بن الشريف الحسنى السجلماسى لما بويج بفاس
بيته بالملك ويحذره من اهل المغرب وغدرهم من انشاء وزيره القائد محمد
بن يحيى اجابا وفي اخرها قصيدة من انشاء القائد المذكور وهى هذه

يا شبل مولانا الشريف محمداً	شمس السعادة والهلال الأكل
ملات همتك المهمة مغرباً	فزهت بمشرقنا اصيهان وموصل
صقر الصياصى على الاعادي صايل	غورا يغير وفي الملاحم يستل

اظفاره للمسارقين صوارم
 فجناحك الجرد العتاق وان نظر
 هاتيك ثوار القبائل عنوة
 قد طببت ان عرقت عروقك في الوغى
 يا مالمكأ سعدت به اوطائه
 نادى بك النصر العزيز لغرب
 فاحذر كما حذر الغراب ولا تكن
 واعدل تفوز ولا تواخى طامعا
 لا تصدمن جبل البرابر واصطبر
 لا تامن الاعراب في اقوالها
 وعليك بالنعرات في اوطانها
 واغضض ولا توذي تجار مدائن
 لا تتخذ من اهل فاس صاحباً
 كالبعيل عادته الفرار وان غدا
 لا تنقلن الى الصحاري ذخائراً
 واضرب لبيت الملك اوتاد الدهى
 والى فؤاد العرب واعرف قدرها
 وابسط يديك على العيال هنية
 هذي وصايا قد اضعن حقوقها
 فمتى شردنا للمعالي رحالنا
 فرضينا محسنين احكام القضا

وبكل ظفر منذ يسطو ذوابل
 ت الى تلمسان يطيش الساحل
 والوحش مهمى تغير غار المنهل
 خلت الغبار ذيب فيها المنديل
 فيما مضى وزهى له المستقبل
 واكرم على فاس الجديد الكلكل
 كالبط يطفو من مصاه القلقل
 تردى العداة وتعمى عنك العدل
 حتى يهون على الجوالس مدخل
 واقع فضاضة من يخون ويحتمل
 بكائب تسبي الاثاث وتقتل
 يبق عليك الستر دابا مسبل
 او حاكما يصل الامور ويفصل
 في مربض فتى استغرك يركل
 فيقول اهل الغرب حتما يرحل
 تزداد صيتاً في العقول وتقبل
 فغروم كل قبيلة لا تجهل
 واذا غرست عروق عدل تنقل
 في حق اخر ما ابتاه الاول
 يا باء نصر والمقادر تحذل
 والله يفعل ما يريد ويعدل

فاجابه مولاي محمد بن الشريف بقصيدة ختم بها جوابه من انشاء الفقيه سيدي
 محمد بن سودة

أحمد الشيخ بن زيدان الرضى
فلقد اجبتك عما فيه كتبت لي
أني ابث لكم وصايا جمّة
فألى متى طول الرقاد أما ترى
والدهر يتف في ريش جناحك
ما من خليفة ذاق لذّة راحة
ومن احدى من كثرت شقا ثواره
تحتال تخدعه بكلّ قنيصة
فاستيقظن من الحار ومن رعى
وانفض غبار الذلّ واخضع نعله
ضيّعت ملكك في الرخى وتركته
وركنت للظّلّ الوريث وغادة
واذا رغبت دوام هية همّة
دع عنك في الحمراء مروق سفرجل
واركب مطايا الصافات الى الوغى
واقرع طبولاً للدعاة وفي الوغى
وخض الغار وهز رحماً وادرع
خاطر بنفسك في الفيسافى جائلا
واصطد بهارك بالسلاق وبعدها
وقد الحيوش كما الوحوش ولا تدع
جنب اجانا الحنين في تديره
لا تبعلن من العلوج بطانة
أما الشبابة فاحذرن من غيها
ترجو عواقب دولة لنفوسها

فخر الخلائف والهمام الافضل
نثراً ونظماً كي ترى ما تسال
ان انت للنصح المصرح تقبل
اطعان ملكك كلّ يوم ترحل
ويدنّس من الصفا ما تغسل
الا تحمله الهوان فيسفل
تعدى عليه بكلّ عاد معقل
حتى يصاد كما يصاد الغنم
غنا من اسد الغضا لا يفضل
يزداد وجهك بهجة ويهلل
للخزي في دور الولاية ذلّ
يزهو البديع لكم اذا ما ترفل
وتصير في ستر عليكم يسبل
ومرفالاً به زعفران وقلفل
أما تحوز مزية او تقتل
يحيى الى الحرب العوار المحفل
واعل الغنان وفي اليمين المنصل
تردى العدو وكلّ ليل منزل
عقباتها وتراكل والاجدل
من يعص امرك تزجره فيفعل
واصحب شجاعاً للذخائر يبذل
فطباعها الغدر البليغ الاعجل
لا بدّ تغدر في الاخير وتحذل
وتردّ من وافا جنابك يحفل

يعطف عايك الدهر بعد نفوره فتعود أيام السرور وتقبل
ما ذاق زيدان أبوك حملاوة من حزمه حتى انتحاه المنضل
واذا امتثلت جواب صدق وصيتي يصني الزمان لكم ويصفو المنهل

وكان في أيام مولاي محمد الشيخ رخاء مفرط وغلاء مفرط عام ستين والف
وتوفي رحمه الله عام اربعة وستين والف ودفن بقبور الاشراف قريبا من
قبر ابيه وتما كتب في رخامة على قبره

لبدر سماوات المعالي اقول وفي الضريح كان منه نزول
محمد الشيخ بن زيدان غاله حام فخرن العالمين طـويل
امام المعالي ذو المائر فضله له غرة في الصالحين جميل
حباه الاله العرش رحما تحمسه بما هو في الفردوس منه كفيل

ووزرائه يحيى اجانا وولده محمد وغيرها وقضائه عيسى بن عبد الرحمن
ومحمد المزوار

ذكر الخبر عن السلطان مولاي احمد المدعو العباس

ابن السلطان مولاي محمد الشيخ بن مولاي زيدان

لما توفي مولانا محمد الشيخ رحمه الله كما ذكرناه قبل ببيع ولده مولانا العباس
سنة اربع وستين والف وقام مقام ابيه في جميع ما كان بيده الا ان حى
الشبانة وهم اخواله قويت شوكتهم في أيامه وغلظ امرهم عليه ووشبوا على
الملك وراموا الاستبداد به فضايقوه وحاصروه بمراكش اشهرأ ولما رات أمه

الامر لا يزيد عليه الا شدة كلمته في ان يذهب الى اخواله وياخذ بقلوبهم
ويزيل ما في انفسهم عليه فذهب اليهم فلما تمكنوا منه قتلوه غيلة واقلبوا
لمراكش مسرعين وبويع فيها لاميرهم عبد الكريم بن ابي بكر الشباني ثم
الحرزي وكان قتله سنة تسع وستين والاف وبموته رحمه الله انقضت الدولة
السعدية وانقضى بساطها وانهار جرفها فسبحان من لا يبيد ملكه ولا يتحول
سلطانه قال المؤلف رحمه الله وقد ذكرت في هذه الفعلة قول مولاي محمد بن
الشريف في قصيدته السابقة

أما الشبانة فاحذرن من غيها لا بد تغدر بالاخير وتخدل

فكان الامر كما قال مع ان مولانا محمد بن الشريف كتب بالقصيدة المذكورة
لمولاي محمد الشيخ سنة تسع وخسين والاف وغدر الشبانة بمولاي العباس
سنة تسع وستين والاف فين ذلك عشر سنين ومولانا محمد بن الشريف تلقى
ذلك من بعض اهل الكشف او نحوه فان كلامه كثيراً ما يقع فيه نحو ذلك
وكانت مدة هذه الدولة السعدية نحواً من مائة وخسين سنة وعدد ملوكها
على ما سلف بضعة عشر ملكاً قاله تعالى يسامحهم ويتجاوز عنهم فلقد كانت
آيامهم في جباه الكفر كالمكاوي والمياسم واوقاتهم في وجوه الاسلام اعياد
ومواسم وللخلافة عند الله قدر عظيم لا يحمله الا من جهل الفرق بين الحصاء
والدرّ النظيم ولقد تجبنا التغالى في الذم في حق بعض من يستحقه منهم سراً
للاعراض ورعياً لجانب الخلافة فان الملوك ان كانت لهم هفوات فلهم محاسن
وحسانات فلا يهضم حقهم سيما هؤلاء الاشراف الذين

قطعوا ثمار المجد من غرس العلا باكفهم فلنعم غرس المغارس
لهم لباب المجد عزّة انفس وذكاء الباب وطيب مغارس

خاتمة تشتمل على فوائد ثلاثة

الفائدة الاولى . وجد بخط ابن غازي رحمه الله ما نصّه استقرا ابن الخطيب السلماني رحمه الله في كتاب الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام ان الدولة تختم بما افتتحت به ومصادق ذلك في عبد الحق فان به ختمت دولة بني مرين وبه بديت . وربما يجري ذلك هاهنا فانها بمولانا محمد الشيخ بديت اذ هو اول ملوكها في الحقيقة وختمت بمولانا محمد الشيخ اذ هو اخرهم في الحقيقة والله اعلم

الفائدة الثانية . ذكر الحافظ السيوطي وغيره كالدميري في حياة الحيوان ان سادس الخلفاء مخلوع وعد من اول ملوك الاسلام جماعة كسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما فانه السادس وقد خلع وربما يجري ذلك هنا فان مولاي محمد المساوخ هو السادس باعتبار زيدان بن احمد الاعرج الذي بويغ بسجلماة وقد خلع من الملك والله اعلم

الفائدة الثالثة كما ينبغي ان يعلم الفرق بين الملك والسلطان . قال ابن فضل الله في كتاب المسالك ذكر علي بن سعيد ان الاصطلاح ان لا تطلق هذه التسمية الا على من يكون في ولايته ملوك فيملك مثلاً مصر والشام وافريقية والاندلس ويكون عسكره عشرة الاف فارس ونحوها فان زاد بلداً او عدداً في الجيش كان اعظم في السلطنة وجاز ان يطلق عليه السلطان الاعظم فان خطب له في مثل مصر والشام والجزيرة ومثل خراسان وعراق العجم وفارس ومثل افريقية والمغرب الاوسط والاندلس كان تسميته سلطان السلاطين والله اعلم . من حسن المحاضرات للسيوطي

ذكر التعريف بسيدي محمد العياشي وثناء العلماء الاكابر عليه وابتداء امره

ومغازيه رضى الله عنه وارضاه وجعل الجنة منزله وماواه

قال مؤلفه اما التعريف به فهو محمد بن احمد المالكي الزياتي واشتهر لقباً بالعباشي وبنو مالك من عرب المغرب وبيته فيهم بيت خير وصلاح من قديم وقد وصفه الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن احمد ميارة في شرح المرشد المعين بالولي الصالح العامل السائح قطب الزمان وكهف الامان المجاهد في سبيل رب العالمين الم رابط في الثغور مدة عمره لحياطة المسلمين ذي الكرامات الشهيرة العديدة والفتوحات العظيمة الحميدة من لا شبيه له في عصره وما قرب منه ولا نظير ولا معين له على نصرة الاسلام ولا نصير الا الله الذي تفضل به علينا واقره بمنه وجوده بين اظهرنا وهو كما قيل

حلف الزمان لياتين بمنه حثت يمينك يا زمان فكفر

البركة القدوة الحجاب الدعوة ابو عبد الله سيدي محمد بن احمد العياشي . وبمثل ذلك وصفه العالم سيدي العربي الفاسي ايضاً وكان الولي الكبير العارف بالله الشهير سيدي محمد بن ابي بكر المجاطي الدلاوي يربع محاسنه ويطنل الثناء عليه وكان يقول في دعائه له اللهم جاز عنا سيدي محمدآ العياشي افضل المجازاة وكافه عنا احسن المكافاة واجعل مكافاتك له انكشاف الحجاب عن قلبه حتى تكون اقرب اليه مني اللهم لا تحرمنا توجهه اليك وانقطاعه لخدمتك اللهم نفس كربته وكمل رغبته واجب دعوته وسدد رميته واردد الكرة على من عاداه في الحق انك على كل شيء قدير . وقد وقفت على رسالة كتب بها سيدي محمد بن ابي

بكر ايضاً ونصّها الحمد لله الحليم الغفور الرؤوف المنزه عن صفة من وصف بها
 وصلى الله على سيدنا محمد مدينة العلم المسورة بسور السماحة والحلم وعلى ساداتنا
 آله واصحابه وكل من انتظم في سلك اتباعهم من اهل حزبه هذا وان المحلى
 بنور طلعه ظلم الظلم والفساد المحلى بخزائن المعالي بموجبات النفاق على حين
 الكساد المستوطن حبه بسويراء الفؤاد من القت اليه المكارم ازمة الانقياد
 وصلحت به بحمد الله تعالى العباد واينعت ببركاته البلاد حوطة الاسلام وحمايته
 وخديم الدين المحمدي وكفايته سيدي محمد بن احمد العياشي المحمودي
 الاوصاف بشهادة من يعد من اهل الانصاف زاده الله من المكارم اعلاها ومن
 نفائس درر المجادة اغلاها وتوجه بتاج الكرامة والرضى وامده بدائم مدده
 السرمدي حتى يرضى وسلم جنبه القدسي العلي المرابطي المجاهدي من
 جميع البلايا وانحفه من تحفه الفاضلة الوهية باعلا المزاي واهدى اليه من طيب
 بركاته ورحماته ما يرضاه دينه العلي لحماته قد شهدنا على انفسنا بالاقرار بفضله
 علينا وان ما يسره يسرنا وان ما يضره يضرنا على ذلك منا يقينا من له معنى
 ادنى مخالطة بحيث لا يمكنه ان يرفع ذلك بنوع من المغالطة وان الضار بالعين
 ضار بانسانها لكن النفوس الانسانية محل لخطاها ونسيانها ومن اقنا لديكم مقام
 الخديم والولد قد اساءنا ما اساءكم مما عنه ورد وطلبنا من جميل اوصافكم
 بمعاملته بالصفح الجميل فلن يزال الانسان الا من عزمة الله يستمال ويميل
 ولولا الحرارة ما عرف الظل ولولا الواابل لقل النهاية في الطل وما عرف
 الغفو لولا الاساءة ولا يقال صبر المرء الا فيما اساءه وما عرفنا صاحبه الا بجانب
 كل من للدين يتسب فان خرج عن نظركم فقد اتاه الغلط من حيث لا يحتسب .
 ووصفه الشيخ الامام العالم الحجة ابو عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي
 في رسالة وقفت عليها بخط يده بامير المؤمنين وسيد المسلمين وناهيك بها
 شهادة على علو منصب الرجل . وكما قال الاديب الكاتب ابو عبد الله محمد بن
 احمد المكلائي في مدحه

حديث العلا عنكم يسير به الركب
وحبكم فرض على كل مسلم
فانت رفيع من اصول ربيعة
سمى رسول الله ناصر دينه
ولم ار بجرأ جاوز البحر قبلكم
وما يستوي البحرين عندي فان ذا

وينقله في صحفه الشرق والغرب
تنال به الزلفى من الله والتقرب
نجوم الدياجي في الانام لها سرب
تجلى بكم عن افقه الشك والريب
يجود بعسجد انامله السحب
اجاج لعمري للسواقى وذا عذب

قال الامام الشهير ابو محمد سيدي عبد الواحد بن حاشر رحمه الله في مدحه

يا حادي الاطعان في الرياشى
من فضله بدا ونوره غدا
طود العلا عين النداء عمر الردى
لله سيف حارم وقاطع وقاصم
كم غصة جرّعها صدورهم
يتركهم عند اللقا رهن الشقا
تهنيكم حياتكم يا مسلمين
انام لا شك الانام السكل في
يا عاذلي في حبه عذلك دع
اني امرؤ بالحسن مفتون وعن
هدية الى الكرام ابرزت

ابلق سلامى فخرنا العياشى
تغدو به الركبان والمواشى
فريد وقته الامام الخاشى
ظهر العدا كبيرهم والناشى
جار بها واقفهم والماشى
صرعى على الارضين كالبواشى
ما دام فيكم سيدي العياشى
ظل الامان لئن الفراش
ولا تحدثنى حديث الواشى
جميع لوم لايي عاشى
للسامعين الخير فيهم فاش

وثناء الناس عليه كثير يطول بنا تتبعه وفي هذا القدر كفاية وأما ابتداء امره
رحمه الله تعالى فقال الشيخ الحافظ ابو زيد سيدي عبد الرحمن ابن الامام
سيدي عبد القادر القاسى رحمه الله في منظومته المسماة بزهرة الشماريخ في
علم التاريخ ما نصّه

وبعد لام ظهر العياشي شيئاً فشيئاً ثم مات ناش

قال شارحها ما معناه كان ابتداء امر سيدي محمد العياشي رضى الله عنه أنه كان من تلامذة الولي الصالح العارف بالله تعالى سيدي عبد الله بن حسن السلاسي دفين سلا وكان اقرب التلامذة اليه واسرعهم لخدمته وكان مع ذلك قليل الكلام مداوماً على قراءة القرآن والصيام فكان الشيخ ملتفتاً اليه ولم يزل الامر كذلك الى ان شاعت مناقب الشيخ وكثرت غاشيته فاهدى له يوماً بعض اشياخ القبائل فرساً فامر الشيخ باسراجه وقال اين محمد العياشي فقال له ها انا يا سيدي فقال الشيخ اركب بحول الله فرسك ودنياك واخرتك فتقهقر متادباً وحلفه وحبس له بيده الركاب وقال له ارتحل غنى الى ازموور وانزل على اولاد ابي عزيز ولا بد لك من الرجوع الى هذه البلاد وسيكون لك شان عظيم فوادعه ووضع الشيخ يده على راسه وبكى ودعا له بخير فقصد ازموور ونزل حيث عين له الشيخ ولم يزل مثابراً على الجهاد شديد الشكيمة على العدو عارفاً بوجوه المكائد الحربية مقداماً في مواطن الاحجام صموتاً وقوراً ذا بطش شديد فطار بذلك في البلاد صيته وشاع بين الناس ذكره بما هو عليه من التضيق على العدو الكافر وفرح بذلك قائد ازموور ولم يزل على ذلك الى ان توفي قائد الفحص والبلاد فسال السلطان زيدان بن احمد المنصور عمن يليق بتولية ذلك الثغر ف قيل له سيدي محمد العياشي فكتب له بالتولية فنهض باعباء ما حمل وبتولية الفحص وكانت له مع النصاري وقائع عظام وضيق عليهم اشد تضيق حتى منعهم من الرعاية والحرب فبعث نصاري البريجة لحاشية زيدان بالتحف ونفيس الهدايا ليزيلوا عنهم سيدي محمد العياشي لمضايقته لهم فخوفوا زيدان منه وحرصوه على عزله واظهروا له أنه مسموع الكلمة في تلك النواحي وأنه يخشى منه على الملك وكان سيدي محمد كلما بعث بما يفتح الله عليه من الغنائم والاسارى لمراکش ازدادت شهرته وتناقل الناس

حديثه فوعز بذلك قاب الساطان وحقد عليه فبعث له قائده محمد بن السنوسي في اربعمائة فارس للقبض عليه وتلمه فالتقى الله تعالى في قاب القائد المذكور الشفقة عليه لما يعلم من برائه مما قذف به فبعث له خفية ان انج بنفسك فانك مغدور فخرج سيدي محمد في اربعين رجلاً فرساناً ورجالة قاصدين سلا فلما باغ السنوسي ازمور لم يجد له اثرأ فاطهر العناية بالبحث عليه وعاقب على افلاته شزيمة من اهل الفحص ولما دخل رحمه الله سلا زار شيخه وبات عند ضريحه وجاءه اهل سلا وذكروا له ما هم فيه من الخوف من النصارى وان مسارحهم امتدت لوادى المحازن وان النصارى الف من الرماة دون الفرسان فامرهم بالتهيأ واتخاذ العدة فلم يجد بسلا الا نحو المائتين من العدة فحضرهم على الزيادة والاستكثار منها فكان مبلغ عدتهم بما زادوه زهاء اربعمائة فخرج بهم الى المعسورة فصادف بها النصارى عدداً فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة قرب المعسورة الى ان غابت الشمس قتل من النصارى زهاء اربعمائة ومات من المسلمين مائة وسبعون رجلاً ختم الله لهم بالشهادة وهذه اول غزوة اوقعها في الغرب بعد صدوره من ثغر ازمور ومنها قصرت النصارى عن الخروج للغابة وضاق عليهم الحال ثم ان زيدان لما بلغه اجتماع الناس على سيدي محمد العياشي بعث الى قائده على قصبة سلا الزعروري وامره باغتياله والقبض عليه ففاوض الزعروري في ذلك اشياخ الاندلس فاتفق رايهم على ان يكون مع سيدي محمد العياشي جماعة منهم عيناً عليه وطلعة على نيته واستخباراً لما هو عازم عليه وحفظاً له مما هو مطلوب به فلأزمه بعضهم وكان زيدان قبل ذلك بعث لقائده الزعروري المذكور ان يجهز لدرعة اربعمائة من الاندلس الذين بسلا فجهزهم اليها وطالت غيبتهم بها فهرب اكثرهم ومالت قلوبهم عن الزعروري وسلطانها فلما بعث زيدان لاهل سلا بتجديد البعث الى درعة امتنعوا من الانقياد له في ذلك وكرهوه وازمعوها على خلع طاعته ووشوا له بقائده الزعروري فبعث زيدان لقبضه فقبض ونهب الاندلس داره وكتبوا له مظهرين طاعته مكيدة

منهم ونفاقاً فبعت لهم زیدان المملوك عجيب فكث عندهم أياماً فلم يعتنوا به وصاروا يهزءون بحاله وثم قتلوه فظهر منهم شق العصا على زیدان واطلم الجوّ بينه وبينهم وبقيت سلا فوضى لا ولي لها فكثرت النهب ومدّ اللصوص ايديهم للمال والحريم وسيدي محمد ساكت لا يتكلم وكثرت الشكاية من التجّار والمسافرين بخوف السبل وقطع الطرقات فهرع الناس الى سيدي محمد العياشي وكثرت وفوده واشرفت في الجوّ السلاوي انواره وسعوده فشمّر عن ساق الجذّ واطهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولما طلبه الناس للتقدّم للنظر في مصالح المسلمين وامور جهادهم مع عدوّهم امر اشياخ القبائل واعيانها من عرب وبربر وروساء بان ينزلوا خطوطهم في ظهير بانهم رضوه وقلّدوه وقدموه على انفسهم واتزموا طاعته واي قبيلة خرجت عن طاعته وامر كانوا معه على مقاتلتها حتّى تفي الى امر الله فكتبوا بذلك خطوطهم ووافق عليه قضاة الوقت وفقهاؤها من تامننا لتأزى وكان الحامل له على ذلك أنّه بلغه عن بعض طلبة الوقت أنّه قال لا يحلّ الجهاد الاّ مع الامير ففعل ذلك خروجاً من الدعوة الواهية والاّ فقد كتب له علماء الوقت كالامام سيدي عبد الواحد بن عاشر والامام سيدي ابراهيم الككّالي والامام سيدي العربي الفاسي وغيرهم بان مقاتلة العدو الكافر لا تتوقّف على وجود السلطان وجماعة المسلمين تقوم مقامه ولما كمل امره وبايعه الناس على اعلاء كلمة الله وردّ الظلم على ضعفاء الامة ضاق الحال على عرب الغرب لاعتيادهم الفساد وعدم الاحكام ومحبتهم الخلاف والسيية فكثرت بيعته جماعة وكان ممن نكث الناصر بن الزبير في لمة من الشرافة فقاتلهم سيدي محمد العياشي رحمه الله فظفر بهم وعفا عنهم ونكث ايضاً الطاغى بالتاء بدل الطاء في الستهم مع جماعة من اولاد اشجين فغلبهم وعفا عنهم وكذلك عرب الحباينة طغوا على اهل فاس وعتوا وسعوا في اخلال البلاد بامر احمد ابن مولانا زیدان فقاتلهم سيدي محمد العياشي رحمه الله فكانت الدائرة عليهم وتاب على يده جماعة من روساء الشرافة الذين كانوا مع الحباينة وكانت عاقبة كلّ من

بغا عليه وطغا خسراناً ميبساً وأما مغازيه رحمه الله فقال شارح الزهرة كان نزول
النصارى بمرسى الحلق سنة اثنتين وعشرين والـف وكان هذا الحلق قصراً
للمسلمين ولقوا منه شدة ولما اجتمعت الكلمة على سيدي محمد العياشي ورد الله
من نكت للعهد كان أول ما بدا به أنه تهيأ للخروج للحلق واستعد لقتاله ومنازلة
من فيه من النصارى طمعاً في فتحه فيتقوى بذخائره المسلمون وكان المسلمون
قد حاصروه أيضاً فلم يقدروا له على شيء وصعب عليهم الامر وكان سيدي محمد
العياشي رحمه الله اذا اراد الله ان يظفره بغنيمة راي في نومه أنه يسوق خنازير
ولما سار بجموعه للحلق ونزل عليه راي قطعتين من الخنازير والغوز معها فكان
من قضاء الله أنه في صبح تلك الليلة قدمت اعربة من السفائن بقصد الدخول
للحلق فضيق عليهم الرماة من الخندق فارادوا ان ينحرفوا للبحر فردهم البحر
لساحل الرمل فتمكن منهم المسلمون وقتلوا وسلبوا ونهبوا ووجدوا في الاعربة
زهاء ثلاثماية اسير من المسلمين فاعتقهم الله واسروا من النصارى أكثر من
ثلاثماية ومات أكثر من مائة منهم وظفر بقطان من عظمائهم ففدى به طائف
رئيس اهل الجزائر وكان عندهم في قفص من حديد ومنها غزوة العرائش
وكانت سنة اربعين والـف وذلك أنه صرف همته للتضييق على نصارى العرائش
وشن الغارات عليهم فكمن بالمسلمين بالغابة نحواً من ستة أيام فخرجوا بغتة
فمكن الله له من رقابهم وطحنهم في ساعة واحدة ووقع له مع نصارى العرائش
ايضاً أنه اخذ حناشاً من عرب طليق يقال له ابن عبود فاراد قتله فقال له
استغني فأتى ارفع المسلمين وأتى نائب الى الله عز وجل فتركه وذهب اليهم
وكان موثقاً به عندهم حتى انهم كانوا يودون له الراتب على ذلك فقال لهم
احياء العرب وحللهم قد نزلوا بوادي العرائش فلو غرتم عليهم لغنتموهم
فخرجوا مبادرين مكثرين فما شعروا إلا ان احاط بهم سيدي محمد العياشي فلم
ينج منهم احد وكان عدد من قتل من الكفرة نحو الالف فاخذوا ابن عبود
اذ بقي في ايديهم فقلعوا اسنانه ومثلوا به وراموا قتله لولا أنه رفعهم الى شرعهم

فسرحوه ومن غزواته رضى الله عنه غزوة الحاق الكبرى وذلك ان اهل فاس
 نزلوا بموضع يعرف بعين السبع وكنوا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرج النصارى
 على غرة فثار المسلمون عليهم وكانت الغنيمة اربعمائة من العدة وقتل من
 النصارى ستماية وكان النصارى لما خرج جيش فاس بقصد الغزو اعلمهم مسلم
 مرتد كان عندهم فاعطوه سلماً وجاء المرتد لسلا بقصد بيعها فاخذ وقتل فعصى
 عليهم الخبر اذ كانوا ينتظرونه بالخبر فلم يشعروا حتى صاحبهم الخيل فاحيط بهم
 ولم ينج منهم الا القليل حتى لم يبت في الحلق تلك الليلة الا نحو الاربعين
 رجلاً منهم ولم يحضر سيدي محمد العياشى بنفسه في هذه الغزوة لانه ذهب
 لطنجة قلقاً على يوم المسامير حيث صنعوا مسامير بثلاثة رؤس تنزل على الارض
 والرابع يبقى مرفوعاً مكيدة عظيمة تضرر منها الفرسان والرجال من المسلمين
 ولما رجع واعلم بضعف من بقى في الحلق بعث الى الاندلس بسلا يصنعون له
 السلايم يصعد منها لمن بقى في الحلق فتناقلوا عليه من صنعها غشاً منهم الاسلام
 ومناواة لسيدي محمد العياشى حتى جاء المدد لاهل الحلق فلما اتى بها لم تغن
 شيئاً بعد ان ركبها ومن هنالك استحكمت البغضاء بينه وبين اهل الاندلس وكان
 اهل الاندلس اعلموا النصارى بان محلة محمد النازلة في محاصرة الحلق ليس له
 اقامة فبلغ ذلك لسيّد محمد فاقام عليهم الحجّة وشاور العلماء في قتالهم فافق سيدي
 العربي الفاسى بجواز مقاتلتهم لانهم حادوا الله ورسوله ووالوا الكفار ونصحوهم
 ولانهم تصرفوا في مال المسلمين ومنعواهم من الراتب وقطعوا البيع والشراء على
 الناس وخصّوا به انفسهم وصادقوا النصارى وامدّوهم بالطعام والسلاح وكان
 الامام سيدي عبد الواحد بن عاشر رحمه الله لم يجب عن ذلك الى ان راي بعينه
 حيث قدم لسلا الاندلس يحملون الطعام للكفار ويعلمونهم بغرة المسلمين فافق
 بجواز مقاتلتهم وحكم في رقابهم السيف ايّاماً الى ان اخذ بدعتهم ورجع بهم الى
 الكلمة ولما وقعت غزوة الحلق الكبرى جاءت الوفود بتنية سيدي محمد بما منح
 الله له من الظفر فخصّهم على استيصال شافة من بقى به وعير العرب بترك

النصارى في بلادهم وكان ممن حضر في العرب جماعة من الخلط وبني مالك والطاغى والدخيسى وغيرهم فقال لهم والله والله والله ان لم ياخذكم النصارى لياخذنكم البربر فقالوا له يا سيدي وكيف يكون ذلك وانت فينا فقال لهم اسكتوا انتم الذين تقطعون راسي فكان كذلك وهذا من كراماته رضى الله عنه واما مقاتله اهل البريجة فسيها كما رأيت في رحلته بخط الفقيه العلامة قاضى تامسنا في حينه ابي زيد عبد الرحمن بن احمد الغنمى الشاوي ان اهل البريجة عقدوا المهادنة مع اهل ازموار مدة فكان من عزة النصارى وذلة الاسلام في هذه المدة ما تنفطر منه الأكياد وتخر الجبال هدأ فمن ذلك ان زوجة القبطان خرجت ذات يوم في محفها ومعها صواحبها الى ان وصلت حلة العرب فلقاها اهل الحلة بالولاول والفرح وصنعوا لها من الاطعمة وحملوا لها هدايا من الدجاج والحليب والبيض فظلت عندهم في فرح عظيم ولما كان الليل رجعت ووقع لها ايضاً مرة اخرى انها امرت زوجها القبطان ان يخرج بجيوشه ويبعث لقايد ازموار ويخرج بجيوش المسلمين فيلعبون فيما بينهم وهي تنظر اليهم وتتزّه فيهم فكان ذلك فجعلوا يلعبون وهي تتفرج فيهم فلما كان الى ان حمل كافر على مسلم فقتله فكلّم قائد المسلمين القبطان واخبره بما وقع فقال القبطان فلما يضركم ان مات شهيداً يهزأ به ويسخر بالمسلمين قال وكان الولي الصالح العابد الزاهد المجاهد رافع لواء الاسلام ومحى منهاج النجى عليه الصلاة والسلام سيدي محمد العياشى كلما سمع او راي شيئاً من ذلك تغير وبات لا يلتذ بطعام ولا منام وهو ينظر كيف تكون الحيلة في زوال المعرة عن المسلمين وغسل اعراضهم من وسخ الاهانة وهو مع ذلك يخاف من العيون التي ترصده من صاحب مراكس وقائد ازموار ومن قبطان البريجة فكث كذلك مدة من ثلاث سنين فلما راي الامر لا يزيد الا شدة اشار لبعض اولاد دويب من اولاد ابي عزيز ان يجلبوا للنصارى شيئاً من الزرع خفية ويكون شيئاً قليلاً فشيئاً قليلاً حتى تطمئن نفوسهم ويذوقوا حلاوته ويريهـم

النصيحة والمحبة فلما حصل ذلك جاءه جماعة منهم واخبروه بذلك واطلعوه على غرة النصارى فعزم على قصد البريجة ثم بدا له تقديم العرائش ثم ياني البريجة وكان ذلك في رابع صفر عام تسعة واربعين والى ثم تحرك للبريجة فذكروا له ان وادي ام الربيع في نهاية المدود والانهاء فلم يته عن ذلك وسار حتى بلغ الوادي فوجده ممتلئاً جداً لا يكاد يدخله احد الا غرق فقال لاصحابه ومن معه توكلوا على الله واجتهد في الدعاء ثم اقتحم الوادي بفرسه متوكلاً على الله وتبعه الناس فعبروا جميعاً ولم يتأخر منهم احد وكان الماء يصل الى قريب من ركب خيولهم مع ان ذلك الوادي حين امتلائه لا يدركه له قعر عند الناس كما شوهد ذلك وهذه كرامة عظيمة وبرهان عظيم وقع له رضى الله عنه ولم نسمع بمثل هذا وقع الا للصحابة رضوان الله عليهم كما وقع للعلاء ابن الحضرمي في فتوح العراق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وبلغ البريجة ووجد طائفة من اولاد ابي عزيز شعروا به ولجئوا للقبطان خوفاً من سيدي محمد العياشي ان يمكر بهم فخرج في خيله وكان سيدي محمد كامناً بازاء البريجة بالغابة فلما انفصل القبطان بجيشه عن البريجة حمل عليهم سيدي محمد العياشي بخيله فقطعهم عن الهرب الى البريجة فهربوا للبحر فماتوا كلهم قتلاً وغرقاً الا نحو من سبع وعشرين فتغير صاحب مراكش على ذلك وانكر ما صنع هو وقاضيه الفقيه السيد عيسى بن عبد الرحمن وباجلطة فغزوات سيدي محمد العياشي رحمه الله كثيرة وحايته للدين شهيرة ودابه عن الاسلام مما هو واضح عند الخاصّ والعام وكان رحمه الله عازماً على اخذ العرائش فحال بينه وبينها الموت وكذلك كان ملحاً على اخذ طنجة فلم تساعد الاقدار ومن خط الفقيه العلامة ابي عبد الله محمد بن احمد ما صورته حدثني من اثق به من الاخوان عن ابنه الفقيه العلامة الاشهر سيدي عبد الله ابن سيدي محمد العياشي انه وجد مقيداً بخط والده رحمه الله ان جملة ما قتل من الكفار في جملة غزواته سبعة الاف كافر وستماية كافر ونيف وسبعون كافراً . وكان الذي استولى عليه

سيدي محمد العياشي سلا ونواحيها وعلى تامسنا وعلى اعراب الغرب كلّ ذلك كان تحت طاعته وفي ولايته ولم يزل في نحر العدو حتى امن سرب المسلمين وحقّ القول على الكافرين وكان رحمه الله مجاب الدعوة ما دعى الله في شيء الاّ استجيب له شوهّد ذلك منه مراراً وكان من كراماته أنّه يعلم الناس بالغنيمة قبل وجودها وكان فقيهاً مشاركاً في الفنون من العلوم وله اتباع ظهرت عليهم بركته ولاحت عليهم اسرار سرّه ونفحاته

ذكر الخبر عن قتله رحمه الله وسببه

وما وقع له في ذلك

قد ذكرنا قبل انّ الاندلس بسلا تحزّبوا عليه ورموه عن قوس واحدة وانه كان اطالع على خيانتهم للاسلام واهله ونصيحتهم للكفر وذويه وانه استنقى العلماء في مقاتلتهم فافتوا باباحة مقاتلة من اتّصف بهذه الصفة فاطلق سيدي محمد فيهم السيل اياماً فقتل من وجد منهم وهرب اكثرهم فمنهم طائفة ذهبت لمراكش وطائفة ذهبت للجزائر وطائفة فرّت للنصارى وفرقة ذهبت لاهل زاوية الدلاء فجاء اهل الدلاء يشفعون في الاندلس فابى سيدي محمد ان يقبل الشفاعة فيهم وقال انّ الراي في استيصال شاقهم فلما راي اهل الدلاء امتناعه ورده شفاعتهم غضبوا لذلك واجمعوا على مقاتلته وجاءوه فخرج اليهم سيدي محمد بمجنوده فاوقع بينهم وهزم جمعهم وقتك بالعرب الذين كانوا مع الطاغى فنفرقت الجموع وتبرّا التابع من المتبوع وذهب سيدي محمد لغزو طنجة فلما رجع من غزو طنجة وجد البربر مع اهل الدلاء وصلوا الى اطراف ازغار ومعه الطاغى واهل حزه من الكراردة والدخيسى عزموا على مصادمة سيدي محمد فاراد سيدي محمد ان يغض طرفه عنهم ويصرف عسانه لغيرهم فلم يزل به

اصحابه واهله الى ان نبذ لمقاتلتهم فلما التقى الجمعان كانت الواقعة على سيدي محمد فهزم من معه وقتل فرسه تحته فرجع الى بلاد الخلط وكان روساء الخلط اكثرهم في حزب الطاغى وعلى راي الكراي فرجعت البرابر لاطوانهم وبقي سيدي محمد عند الخلط أياماً فعدروا به وقتلوه رحمه الله بموضع يسمى عين القصب واحتزوا راسه وحملوه الى سلا ومن كراماته المتواترة انهم لما حملوا راسه سمعوه ليلاً يقرأ القرآن جهاراً حتى عاينه جميع من حضر فردوه لمكانه وتاب بسببه جماعة من الناس ولما مات سيدي محمد فرح النصارى لموته غاية الفرح واعطوا البشارة على ذلك وعملوا المفرحات ثلاثة أيام وحدث رجل كان بالاسكندرية انه راي النصارى يفرحون ويخلون انفاضهم فسألهم عن ذلك فقالوا له قتل صانطوا في المغرب ومعناه المجاهد وكان قتله رحمه الله تاسع عشر من المحرم سنة احدى وخمسين والى وقد رمزوا لتاريخ وفاته بقولهم مات زرب الاسلام باسقاط الف الوصل وفي الرحلة لابي سالم سيدي عبد الله العياشي قال اخبرني الشيخ محمد الفزار بمكة قال كان بالمدينة المشرفة رجل مغربي من اهل العصر في السنة التي مات فيها الولي الصالح المجاهد سيدي محمد بن احمد العياشي فجاءني ذات يوم وقال لي اني رايت في النوم اختي ورايت رجلاً جالساً مقطوع اليد تسيل دماً فقلت له من انت فقال انا الاسلام قطعت يدي بسلا قال فلما اخبرني قلت له الذي يظهر لي من رءياك ان الرجل الصالح المجاهد الذي كان بسلا قد قتل قال وبعد ذلك في اخر العام قدموا الحجاج من المغرب واخبروا بموته . ولولده الاجل الفقيه العلامة عبد الله رحمه الله ارجوزة نظم فيها اهل بدر وتوسل بهم الى الله عز وجل في هلاك اولائك الذين تمسكوا على قتل والده فلم تمض الا مدة يسيرة حتى دارت عليهم دائرة السوء ولم ينج منهم احد والحكم لله الواحد القهار وقد رثي سيدي محمد العياشي بقصائد كثيرة منها ما قاله الفقيه الاديب البليغ الاريب ابو العباس سيدي احمد الدغوني

ان عاص ان غاض من افاض بحر ندا
فليحكه الدمع طوفاناً طفا هو عن
واطفيء النور والنيران موقدها
فلا جمود لدمع لا خمود به
والشمس ان طلعت افلاكها عضلت
كم شادكم سادكم سدّ الثغور وكم
وكم اباد جموع الروم قهراً وكم
يا عين ويحك سحى واردفني وكفى
مات السرور فساءتك الشرور وقد
القائم الصائم المحي اليه الوفا
العالم الدائم الحروب في مدد
لا خطب اعظم من هذا الملمّ لقد
بحر الكرامات روح المكرمات مضى
وقرة العين قاهر البغاة غدا
هل كان الا جنّاً للمنجى وردا
وما جداً منجداً للمعتري ما بدا
يرجو ويرهب اذ يدعو ويرغب ان
حتى استجاب له ربّ وصاب له
فوق المني نال لكن حسن مقلته
للذات والنفس لذات لقد نهجت
ما كان امنع تلك النفس لو رهبت
خالق له الخلق الصعب الا بر حلا
بعده ما دابنا عيش العلا سثموا
اجبراء جرّ ليلث قد جرى دمه

يحفّ روض منى كم حجّ منه ندا
من لا نظير له في غربنا وجدا
ما لا انطفاء له من لوعة ابدا
ما تلظى فؤادي منه مفتاداً
احلاكهما من تجليها ببدر هدا
آذى واوعى غياث الغيث مقتصدا
اردى العدا وعن الاسلام ذاد ردا
ويا فؤادي تفاد الذهب والكمدا
سرت وفاة نصير الحق من غدا
رباط فروج الطيف مجتهدا
واليوم صوما وصونا للعلا اعتمادا
دهى واذهل حتى لم يدع جلدا
غيظ الحسود وحيد العصر منذ بدا
وعصمة الدين والدنيا معا لجدا
لمن غدا بعدو الدين معتضدا
للمعتدي وهدى للمتقين هُدا
يدنو مع الشهداء الصفوة السعدا
قرب وقابله ارب فكم جهدا
في الله يوتر من امثاله عددا
منه لوصل معالي ما لهنّ مدا
لكنّها هربت من ارتهاب ردا
من الحفاظ زكى النفس سهل الندا
عيش فلا عاش مولود ولا ولدا
بين الكلاب كأن لم يفترس اسدا

لم يمس قط ولم يصبح سوى قدم
 كأنه لم يصل في الله مستاصلا
 كأنه لم يقسم بالحق منتقبا
 منه اكتسى جسد الدين الحياة الى
 قد جاء في نصّ وحى لا يموت فتى
 من اسمه اسم ابيه واسمه صفة
 كلّ المحاسن مولاها محمدها
 وكلّ حسن واحسان زهى شيئا
 من لي ولا من باتيان الزمان به
 من لي ولا من بحاج للغثور ومن
 من لي ولا من بحام بعده بطل
 نار القرى في القرع من مهنده
 فغادروه وقوم غدروه لهم
 عدوا وليسوا ذوى قربى وكالامنا
 لو جملة بحسام العدل صبحها
 لكنهم بقر ضلّوا وقد نفروا
 فليضحكوا اليوم وليكوا فقد ذهلوا
 وتلك أيامها دنيا مداولة
 وعيشكم آل عيّاشى فلا تهنوا
 ان غاب مرءاه فالانار شاهدة
 في الخلد حيّاه رضوان وهّناه
 يا اولياء قتل الظلم حسبكم
 ما غاض بل فاض بحر بعد ما انفجرت
 بل في ابنه وبنيه الاسد ثم لهم

يأتى فيأجم جمعاً من بيوت عدا
 لله منتصراً بالله من جحدا
 للحقّ او لم يقم من مبطل اودا
 ان راح فارتاح روح فارق الجسدا
 قد فاز بالروح والريحان في الشهدا
 توليهما صفة الشاكرين يدا
 وكلّ وجدان حد بعده فقدا
 قولاً وفعلًا ففى وجدانه وجدا
 في المكرمات بمثل يستحى صمدا
 لي به لا من بان احظى به ابدا
 لا في الوغا عدداً يخشى ولا عددا
 وكم قرا الضيف من لحوم من عندا
 شيان حكمهما سيان فائحدّا
 كانوا فخانوا من استدناهم بعدا
 ما يبتته جموع الجور منفردا
 راعيههم فليظلّوا يحجّارون سدا
 عن علم ما جهلوا تمّن يرون غدا
 من بات يفرح ساءته غداة غدا
 بعد محمد ان يذم فقد حدّا
 مشهودة فاييؤ بالرغم من جحدا
 من مالك الملك بالرضوان اذ وفدا
 سلطان نصر بنصر الذكر قد شهدا
 من لجّه فجرت بحور ندا
 يمن سيملا عيناً بالمنى ويدا

ويشهى الامر منكم في الانام لما عقباه ترضى وتردى اولياء عدا
فألي ببالي به في صدقه وانكم ما فيهما من مصيب جد واجتهدا
كال فوزي بحسن الحسين معاً والله حسبي كفاي صدقه القندا

ذكر الخبر عن اهل الزاوية الدلائية ومبتدا امرهم

وكيفية انتشار ذكرهم وكال فخرهم رحمهم الله

اما نسبهم فهم برابرجاط بطن من صنهاجة حسباً ذكره ابن خلدون وغيره
كما رايته بخط شيخنا الامام ابي عبد الله المسناوي رحمه الله واما مبدا امرهم
فان جدّهم الولي الاشهر ابا بكر بن محمد المعروف بحمّي بن سعيد بن احمد بن
عمرو سكن الدلاء واتخذ هنالك زاوية فجاء ولده الولي الاظهر محمد بن ابي
بكر فكمل من الفضائل ما بقي وابدا من الاسرار ما خفي فتناقل الركبان
حديث هذه الزاوية في الافاق وقصدها الناس من كل جهة على الاطلاق الى
ان كان من اولاد الرجلين ما كان وها نحن نرتب القول في ذلك فاما السيد
ابو بكر بن محمد فكانت ولادته سنة ثلاث واربعين وتسعمائة ويقال ان الذي
سمّاه ابا بكر هو الشيخ الشهير ابو الحسن على بن ابراهيم البوزيدي دفين
اخروط وانه جاز بتلك البلاد ايام ولادته وادرك يوم عقيقة فاتوه بطعام من العقيقة
وقالوا له فما نسميه فقال ابو بكر فقالوا له ان البرابر يغيرون الاسماء فيصيرون
ابا بكريك فقال لهم انهم لا يغيرونه ان شاء الله فكان الامر كذلك ثم ان
السيد ابا بكر لما سبق له من العناية الربانية تعلقت همته بابتغاء شيخ يسلك على
يديه فرحل الى الشيخ ابي عمر المراكشي فلما جلس بين يديه اقبل عليه في
اول مرة اقبالا عظيماً وضمه اليه والبه قلنسوته بيده وكان راس ابي بكر
اضخم من راس الشيخ ابي عمر فلم تسع القلنسوة راسه فجعل الشيخ يوسعها

ويكلفها راسه فاخبر سيدي ابو بكر انه فتح له في ذلك الالباس امر عظيم من الملك والملكوت وعلم الملايكة ثم الغيبة عن ذلك كله ويقال ان الشيخ ابا عمر امره بحراسة بستان له فاقام في خدمته مدة الى ان اذن له الشيخ بالتوجه الى بلاده فتوجه اليها الا انه كان يتردد لزاوية الشيخ مع الاخوان وحكى انه حاجت عليه المحبة يوماً وهب نسيم الشوق للشيخ فسار اليه وحده فوجده في حنيزة والوباء اذ كان بمراكش ولعله وباء خمس وستين وتسعمائة فقال له الشيخ ما جاء بك لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليها فقال لا عقل لي فقال واين رفقاؤك فقال انما جئت وحدي فقال له لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم الواحد شيطان والاثنان شيطانان فقال لا عقل لي فعذره ولما توفي الشيخ وجد ابو بكر في حاله نقصاً وفقد ما كان يالفه في نفسه ولم تقله ارض ولم تظله سماء وهام على وجهه في البرية مع الوحوش والسباع واقبل على تلاوة القرآن فقرأ ختمات فلم يرجع اليه حاله ثم اقبل على ذكر لا اله الا الله مدةً مديدة فلم يجبر حاله ثم اشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم زاهداً في الدنيا غير ملتفت اليها فماد اليه حاله ووجد ما كان فقد وكان رحمه الله محافظاً على السنة قائماً بالشرعية بحثاً على العلم حاضاً على تعلمه وتعليمه تالياً للقرآن كثير الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم زاهداً في الدنيا غير ملتفت اليها ولا ناصراً لزهرتها وكل ما فتح عليه منها صرفه في مصارفه في الحين ولا يلتبس بقليل منها ولا بكثير وقال صاحب مرآت المحاسن في حقّه انه من اكابر مشايخ المسلمين واولياء الله المقربين وحيد عصره ونسيج وحده متوسم بالشرعية متحقق بالحقيقة بحر جود لا ساحل له يعطى عطاء من لا يخاف الفقر فلو راي من مضى بعض من مكارمه لم يذكرها في النداء معنى ولا هماً اقام الله به رسم الجود وافاض به نعمته على الوجود بكل اللسان والقلم على استيفاء فضائله التي هي اشهر من نار على علم وحسبك ان المغرب لما تدأدت قواعده وانهدت اركان الملك به فاحتل النظام وماج الناس كان ماوى لاهل

العلم والدين ومورد الضيوف والمساكين فاعتصم الاسلام منه بحصن حصين وربوة ذات قرار ومكين فهو الذي امسك رمقه وابقى رواه ورونته فداره ما زالت ولا تزال ان شاء الله دار العلم والدين ومشروع الجود والعذب المعين والنهوض باعباء مصالح المسلمين . وقد زاره الشيخ الحافظ ابو العباس سيدي احمد بن يوسف الفاسي في محرم فاتح ثمانية عشر والف فاقام عنده اياماً واخذ عنه وانتفع به فلما رجع الى فاس سالوه عنه فقال اخذ الناس بالاوصاف واخذ سيدي ابو بكر بالانصاف . وكان رحمه الله كثير الاطعام بحيث بلغ فيه النهاية ويطعم الناس على اقدارهم تمسكاً بحديث امرت ان انزل الناس منازلهم وكراماته وبركاته شهيرة توفي رحمه الله عند طلوع الشمس يوم السبت الثالث من شعبان المبارك سنة احدى وعشرين والف ودفن في الدلاء واما ولده سيدي محمد بن ابي بكر فهو واسطة العقد خاتمة مشايخ المغرب وغرة السعد اليها انتهت رئاسة الدين والدنيا واستقلّ بسياسة الامور الجليلة والرتب العلية الجليلة بلغ في الولاية مبلغاً لم يكن لاحد من اهل وقته في دهره وشاع له من الذكر وحسن الصيت ما لم يشع مثله لغيره وناهيك ان الفقيه المحدث ابا الحسن سيدي علي بن عبد الواحد الانصاري السلاوي كتب رسالة الى شيخه الحافظ الفقيه ابي العباس احمد المقرئ عام سبعة وثلاثين والف وابو العباس اذاك بمصر فكان من جملة ما اخبره به فيها ان قال له ومحجكم الاكبر ووليكم الاطهر سيد اهل المغرب اليوم وشيخ الطريقة والمرتب في سلوك اهل الحقيقة العارف بالله تعالى الشيخ الرباني ذو الكرامات العديدة والمقامات الحميدة سيدي محمد بن ابي بكر الدلاوي يحجكم ويعظم قدركم ولسانه لكم ذاكر ناشر شاكر وهو على خير . وهذه الرسالة مثبتة في نفح الطيب للمقرئ المذكور ولد رضى الله عنه تقريباً سنة سبع وستين وتسعمائة حسبما ذكره شيخنا في فهرسته واخذ عن الشيخ ابي عبد الله سيدي محمد بن ابي القاسم الشرقى بعد ان تطوّف على صلحاء المغرب غاضاً طرفه عن سيدي محمد بن ابي القاسم المذكور فلم يقع اختياره على

امر غيره فقلّمذ له الى ان حصل له من الحظوة والوجاهة فوق ما كان لسائر من عاصره وكان رحمه الله عالماً حافظاً ذاكاً متوسّعاً في علم التفسير ومعاني الحديث وعلم الكلام والعربيّة واللغة حسن المشاركة فيها وفي غيرها وقال صاحب بذل المناجحة في حقّه ما نصّه امتدّت اعناق الخلائق للعطاء منه شرفاء وعلماء وغيرهم وقد بسط رحمه الله يده في ذلك ما استطاع حتّى عزّ القاصر زيارته في الله عزّ وجلّ وأما قصوده فيما يتشّلون من يده وحتّى ان من لم يرضه يطلق اللسان لقلة الانصاف من الانسان وهل يقتضون ديوناً ترتبت لهم عليه او اخترموا له فيما يغنون لديه يعرف صحيح البخاري ويتقن ضبطه لقيته وتذاكرت معه عقيدة الواحدي لا يتّيه فعله . وكان شيوخ الوقت كالحافظ ابي العباس المقرّي وسيدي عبد الواحد بن عاشر والحافظ ابي العباس احمد بن يوسف الفاسيّ والفيّقيه ابي عبد الله محمّد بن احمد ميارة وغيرهم يقصدون زيارته ويتبرّكون به ويراجعون في عويص المسائل العلميّة . وقال في كتاب الاعلام ما نصّه في حقّه لو تفرّغ متفرّغ لجمع فضائله في ديوان مستقلّ لم يجمع منها الا ما يندر ويقلّ ولو صنّف من انواعها اصنافاً والّف من اعدادها الافاً . وما احسن ما قال في مدحه الاديب البليغ الفيّقيه ابو العباس سيدي احمد الدغوغيّ رحمه الله تعالى

اعجب لما لا تحاماه فسرّ به	هل لا تحاماه عار من حلا اده
امدّعي الادب اقصر لا ابا لك ما	انت بكفو لما اصبحت تفرّج به
مالي وللشعر لولا ما كلفت به	من مدحى ابن ابي بكر على رتبّه
محمّد القطب ما اغنى شمائله	عن وصفه فهو مصباح على لهبه
لكنّه شمس نور بل له شرف	من فوق ذلك لا يرقى لمكتسبه
العالم العلم الهادي الانام الى	اهدى سبيل وذاك البعض من قربه
حامي النزول مزيل الباس منزله	على وفاق رضى الجبار او غضبه

سدّ الذرائع منه الجّد عن تعبهُ
 ازرى بذى الجّد مرتاحاً على لقبه
 لم يعطه طالب قد جدّ في طلبه
 ك البحر بالدر والعقيان من حصيه
 لولاك اصبح يوم الجهل في خربه
 وآل ذو سغب للخفض من سغبه
 وكم جبرت كسيراً هيض من نوبه
 ممّا دهاه ونال الامن من كربه
 دين يرى بك كلّ ردّ مستلبه
 نصر على ذاك مع ردّ لنتهبه
 اشباله الرخص عن ذي الحيل من عطبه
 سواك والناس كلّ يعترى لا به
 واكرم الناس اتقاهم على رهبه
 سبقاً اذا اختار ذو سبق مدا نصبه
 عرضاً وارسنهم حليماً على حسبه
 كفّاً لهم عن اذى يخشى وعن سيبه
 قسّ البيان ومن جراه في خطبه
 على كمالك بالمشار من نجبه
 اصلاً وفرعاً الى حيث انتهى نسبه

احيا الشرائع بل افنى البدائع بل
 وربّما ارتاح طوراً للمزاح وكم
 اما ومعطيك من كلّ الفضائل ما
 لبعض ما حزت كلّ المكرمات حكا
 امسى حمى العلم ذا اهلين في حرس
 كم نال منك غنى مسكين متربة
 وكم فككت اسيراً لا نصير له
 وكم اخا كربة خلّصته فنجّا
 وكم سلب من الدنيا واخر من
 وكم ظلوم ومظلوم اجرت على
 وكم دقت ولا دفع الغضنفر عن
 وكم كان لم يكن للمسلمين اب
 ما زلت مذكنت اتقى الناس اكرمهم
 وانت احرصهم رفقاء واعزهم
 نعم وارسخهم علماء واصونهم
 بل انت اجودهم كفّاً وارشدهم
 يا ليت شعري لو جاء الاوائل من
 هل يستطيعون ان يشوا اذا اعتسفوا
 من مرنضى كملت اوصافه وزكى

وكان لبرابرة ملوية فيه اعتقاد عظيم وخدمة تامّة يتبركون باثاره ولا يتجاوزون
 رايه ويقفون عند حدّه ومقداره وكان للزاوية صيت عظيم وكان بها من معاناة
 العلوم والادب على التدريس والاقراء ليلاً ونهاراً حتّى تخرج به جماعة من
 صدور العلماء واعيانهم وكانت له الرحلة في المغرب لا يعدوها طالب ولا يأمل

غيرها راغب وحدث غير واحد من الاشياخ انه لما دنت وفاته رحمه الله جمع اولاده وذويه وقال لهم ان الله عز وجل اخبر عن قول طالوت لقومه ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده وانا اقول لكم ولا من اغترف غرفة بيده يشير لهم بذلك الى ما يتجاوزونه من امر الرياسة بعده ويتلون به من اية الخلافة وذلك من مكاشفته رحمه الله وقد اعترض عليه بعض الطلبة في قوله وانا اقول بانه سوء ادب لمقابلته كلام الله تعالى بكلامه واجاب عن ذلك من احفاده شيخنا الفقيه العلامة الشهير ابو عبد الله سيدي محمد بن احمد بن المساوي ابن سيدي محمد بن ابي بكر برسالة مستقلة لولا الاطالة لجلبناها بنصها وكانت وفاته رحمه الله سنة ست واربعين والف فكان عمره نحواً من ثمانين سنة بحال تقرب ولما توفي سيدي محمد بن ابي بكر خلف عدة من الاولاد فكان اكبرهم هو السيد محمد الملقب بالحاج لانه حج مع ابيه وجدّه مراراً ولقي بالحجاز ومصر عدة من المشايخ ويقال انه صلى بالناس يوم عرفة على ظهر الجبل الامر اقتضاه ولم يكن ذلك لاحد من اهل المغرب قبله وكان السيد محمد الحاج فقيهاً عالماً مشاركاً جواداً رايت بخط الفقيه الاديب ابي العباس احمد بن سليمان الداودي رحمه الله ما صورته كتب لسيدي محمد الحاج حفظه الله تعالى بمنه

ايا سيد الاقوام آن ارتحاننا ولا بن السيل في جنبك مطمع
جميل ولا حملان الا بملككم عديم ولا عدوان لكن سميدع
فان لم يكن طرف فاني ببغلة والا بعير فيه مرعى ومسمع

قال فمرح بالابيات وتضحك منها وبعث له بثلاثين مثقالاً وقال هي لك اخف مؤنة وكان لاهل الزاوية اعتناء بعلم الادب وارتياح لرائق الاشعار ومنتخب الحظ ولقد نبغ من ابناءهم جماعة ممن لهم السبقية في ذلك المضمار والاجادة

التي اشرقت اشراق الاقار فقد وجدت بخط العلامة سيدي عبد الوهاب
الفاقي رحمه الله قال انشدني سيدي محمد الشرقي في ابي بكر بيتاً يستفهمني
فيه عن زوال الشمس

هل زالت الشمس ام لا فاقضين اربي لا زال ظلك محدوداً على الادب
فاجبته

قد زالت الشمس لا زالت مكارمكم تنور الافق في الدنيا مدا الحقب
وان تك الشمس غابت في مغاربها فشمسكم في سماء الفضل لم تغب
وان يك الافق الغربي مطلبها فما لنا من سوى الشرقي من ارب

ولسيدي الشرقي المذكور

الصفح يرتقب الاجابة منكم والحلم يخدم كالاسير الاعجم
ان السهولة والسماحة والنهي للمرء والاحسان خير توسم
الندب من ظهرت بشاشة وجهه والغمر من يصمى العقول بأسهم
اجعل مريضاً ان اناك اجاجة عذبا تسوغه لذيد المطعم

ومن اشهرهم الاديب العلامة ابو عبد الله سيدي محمد الطيب بن المسناوي
ابن سيدي محمد بن ابي بكر واشعاره وموشحاته مشهورة ومن اعيانهم في
التضلع بالعلوم خصوصاً علم العربية ابو عبد الله محمد المرابط بن محمد بن ابي
بكر له شرح على التسهيل لم يولف مثله وشرح البسيط والتعريف وشرح
الورقات وغير ذلك وكان له في الادب الباع المديد وبالجملة فالاعتراف بالحق
فريضة ومسائل اهل الدلاء طويلة عريضة ولو تتبع ما لهم من النظام والشار
لادى ذلك الى الملل والاكثار ولا يجهل فضلهم الا الاغمار الذين قلوبهم بداء
الحسد مريضة والا فرياض مفاخرهم بالكمالات اريضة

إذا لم يكن للمرء عين بصيرة فلا غرو أن يرتاب والصفح مسفر

وكان السيد محمد الحاج رحمه الله احسن سيرة الفقهاء وسيرة الملك ققام
بالوظيفتين واجل في الطريقتين وفي أيامه تكامل امر اهل الزاوية الدلائية
وشاع وعلا صيته وذاع حتى ملا الاسماع وتمهد الامر لابي عبد الله محمد الحاج
واولاده واخوته وبني عمه الى ان تملك مدينة فاس ومكناس واحوازها وكافة
القطر التادلي واجتمعت برابر ملوية اليه واذعنوا له بالطاعة واعصوا عليه
ووقعت بينه وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي وقعة ابي عقبة
فهزم السلطان المذكور وانتشر جمعه وذلك في حدود الحمين والالف ومن
ثم قطع النظر عما وراء وادي العبيد وفي فحى يوم السبت ثاني عشر ربيع
النبوي سنة ست وخمسين والالف كانت وقعة الحارة بينه وبين صاحب سجلماسة
ابي عبد الله محمد بن الشريف الحسني فوقعت الهزيمة على السيد محمد بن
الشريف ودخل السيد محمد الحاج سجلماسة وفعل البربر فيها الافاعيل العظيمة
ثم انبرم الصلح بينهما على ان من الصحراء الى جبل بنى عياش فهو لمولاي
محمد بن الشريف وما دونه لاهل الدلاء وشرط اهل الدلاء على مولاي محمد
خمسة مواضع مما هو تحت يده وجعلوها لهم وهي الشيخ مغفر في اولاد عيسى
والسيد الطيب في قصر السوق واحمد بن علي في قصر بنى عثمان وقصر حليلة
في وطن اغريس واسرير فركلا فهذه الخمسة الاماكن شرطوا عليه الا يحرك
لهم فيها ساكن وانبرم الصلح بينهما على ذلك ورجع اهل الدلاء بجموعهم فما
كان غير بعيد حتى اطاع مولاي محمد بن الشريف على ما اوجب ان فتك
بالشيخ مغفر وبعض من شرطوا عليه ابقاءه فبلغ ذلك اهل الدلاء فجمعوا
جموعهم وقصدوا سجلماسة وعزموا على الا يدعوا لمولاي محمد بن الشريف
قليلاً ولا كثيراً وان يستاصلوه وكتبوا له كتاباً فخذوه فيه ورموه بالغدر وانه
حاقد ناكث وقاسم حاث واغلظوا له في الكتاب واخشوا عليه في الخطاب

فاجابهم مولاي محمد بن الشريف برسالة نصّها باختصار الى السيّد محمد الملقب بالحاجّ ابن السيّد محمد بن السيّد ابي بكر بن محمد وهو حمّي بن سعيد بن احمد بن عمر ابن سير الوجاريّ الزموريّ ومن شمله معه رداء الديوان من الابناء والاعمام والاخوان سلام على جلّهم سلام استجاب وسنة فقد كتبناه اليكم من سجلّ ماسة كتب الله لها من شركم انفع تمائم والبسها من الظفر بكم ارفع عمام وبعد السلام فانّ نيران هذه الفتن التي اضرمتموها بعد خمودها لستم لها باهل لم يعرفكم اهل المغرب الاّ باطعام قصاع العصائد وهجو بعضكم لبعض بما لا يسمع من بشيع القصائد واما العلوم فقد اقررنا لكم فيها بانصاف التسليم لو قصدتم بها العمل واجراء التعليم وايّ الله لنّ نظم فينا الديان شمل الديوان حتّى تعانين امت وبنوك ما تنبيه لنا البنون والاخوان ولقد حدثت السادات اهل السريرة وان ستدور عليكم منا الدوائر الميرة اتطمعون في النجاة بعد ترويعكم الشرفاء والشريفات والعابدين والعايدات النظيفات فشمّر ان شئت عن ساعد الجّد في الصلح واغتمم السلم ما دام يساعدكم وقته فانّ الحرب نار والتخلف عنها بعد وقوعها شئار والله يعلم انّ هذه المراودة ليست بجزع ولا وجل منكم وما نشبتم عند الهراش الاّ بما يطيش حول المصاييح من الفراش بل المراد الاوكد نشر رداء التبرّيّ لئلاّ تجاروا متى انشأنا فيكم مخالب التجريّ وما قدقم به اعراضاً من خسة القدر واتنا قساة لا نصنّى لقبول العذر فاتم تنهون عن الفحشاء وقد ملاتم منها الاحشاء وان زجرتم عنها قاتم كلا وحشى ولكن من انتج نسلاً نسب اليه ومن خاف من شيء ساطط عليه واما ما احتوى عليه بساط الغرب ما بين بربر وعرب فقد طمعنا من الله كونه في القبض ان لم اكنه بالذات والديوان فبالابناء والاخوان كمسوائد الدول يشرق الاخير بما اسسه الحازم الأوّل وانظروا ما يكون لحاطركم به اطمنان فنساعدكم عليه ويكون الوقوف عنده ويبيديه فله درّه من دغوغى اشاع عارك بايات انشدها لنا مولاي محمد بن مبارك وهى هذه

واعلم بأنك من دجاجل مغرب فبعيني صولة نصيره ستموت
اتم عكاكر خلفتكم عاهر وابو سعيد جدكم جالوت
شبانكم مرد وكلّ كهولكم قرنان صنعة شيخكم ديوت
كرهت لدولتكم سماوات العلا واستقلتها الارض والهموت

وما انت في الحقيقة الا قرد من القروود والقراد اللاصق في كلّ كلب مجرود
وما صرّحت به من أنّ الصلح بين الملوك مكيدة قد سبقك به السلطان ابو حم
رحمه الله وحتى الان اخر المراجعة بيننا هذا الكتاب فان رغبتكم في الخير فهو
مطلبي ومغناطيس طبي وان عشقتم الغير فجوّابي لكم قول ابي الطيّب المتنبّي

فلا كتب الا المشرفية والقنا ولا رسل الا بالحميس العرمم

والسلام . والدغوغّي الذي سلف ذكره ونقل مولاي محمد الشريف في رسالته
هجوّه هو من موالي اهل الدلاء ونشا فيهم فبرع في الادب وكان هجاء لا يكاد
يسلم من هجوّه احد وحكى أنّه كان يجلس عند موضع معدّ لطرح الكناسات
والقمامات فلا يمرّ به ذكر ولا اثنى الا هجاء نظماً ونثراً وكان يصيب في عرض
المهجاء وهجا عدّة من الشعراء فتحذّاهم قيل ولم يعجمه الا رجل اسلامي كان ممن
رضع ثدي الادب في الزاوية فقال فيه وكان الدغوغّي فيه نقط من البرص ما نصّه

يا نفمة جلست بمرض البقر ونقطة ظهرت في اقبح الصور
اذا راك اناس قال قائلهم سبحان من اظهر الشيطان للبشر

ولم يزل مولاي محمد بن الشريف رحمه الله مقتصرّاً على ما وقع عليه الصلح
بينه وبين اهل زاوية الدلاء الى ان بعث له اهل فاس كما سيأتي بيانه ان شاء
الله تعالى فبإيعاده واقام عندهم مدة فجهّز له السيّد محمد الحاجّ جيشاً عظيماً
فوقعت الكائنة على ظهر الرمكة بظاهر فاس يوم الثلاثاء عاشر شعبان سنة

تسع وخمسين والنف فهزم مولاي محمد مع اهل فاس هزيمة شنيعة وذهب مولاي محمد لسجلماسة ودخل اهل الزاوية مدينة فاس وعادت لهم الدولة فيها ولم يزل امر اهل الزاوية مستقيماً بعد الى ان ثار السلطان الافخم مولانا الرشيد ابن مولاي الشريف ببلاد الجريد وقدم بجيوش يقودها من عرب انقاد ومن انجادها وكناتها فحاصر مدينة فاس مدة الى ان استولى عليها كما سيأتي ان شاء الله ثم توجه نحو الدلاء فجهز له ابو عبد الله محمد الحاج عسكراً عظيماً من البربر وغيرهم فالتقت الفئتان بموضع يقال له بطن الرمان ف وقعت الهزيمة على اهل الدلاء وذلك اوائل المحرم فاتح سنة تسع بمئة وسبعين بتأخير الموحدة والنف قال الشيخ ابو علي اليوسي في محاضراته ولما وقعت الهزيمة دخلت على ابي عبد الله محمد الحاج وكان لم يحضر المعركة لكبر سنه فاطهر اولاده واخوانه حزناً شديداً وضيقاً كثيراً وجزعاً عظيماً فلما رأى منهم ذلك قال لهم ما هذا الجزع وما هذا الحزن ان قال لكم حسبكم فحسبكم يريد الله تعالى . ولما دخل مولانا الرشيد الزاوية غير محاسنها وفرق جمعها وطمس معالمها وصارت حصيداً كأن لم تكن بالامس وكانت مشرقة كاشراق الشمس فاحت الحوادث ضياءها وقاصت ظلالها واقياؤها وطالت ما اشرفت بابي بكر وابتهجت وفاحت من شذاهم وتآرجت ارتحلت عنها فرسان الاقلام الذين ينجاب بوجوههم الظلام وبانت منها ربائب الحدور واقامت اثاراً للصدور ولقد كان اهلها يعفون اثار الرياح فغفت الرياح اثارهم واذهبت ابدانهم وابقت اخبارهم فقل ذلك العرش واعتدلت الليالي حين امت من الارش ولم يدفع الرمح ولا الحسام ولم تنفع تلك المنن الجسام فسحقاً لدنيا ما راعت لهم حقوقاً ولا ابقت شروفاً وهي الايام لا تبقى من تحبها ولا تبقى موليا ومدينها ادبرت اثار حلف واخذت نار المحلف وذلت غرة ابن شداد واهدت القصر ذا الشرافات من سنداد وكل يلقي معجلاه وموجلاه ويبلغ الكتاب اجله ولقد احسن ربي نعمهم المقر باحسنهم الامام الذي وقع على عامه وعمله الاتفاق شيخ مشايخ المغرب على الاطلاق ابو

على الحسن بن مسعود اليوسى رحمه الله في رأيته التي رى بها زاوية الدلاء
وبكى أيامهم وأولها

أكلف جنن العين ان ينثر الدرا فيابي ويعتاض العقيق بها حجرا

وهى طويلة ولشهرتها تركنا جليها وامر الرشيد سيدي محمد الحاج واولاده
واقاربه ان يحملوا لفاس ويسكنوا بها فحملوا اليها واستوطنوها مدة ثم امر بهم
ان يذهبوا عنها لتلمسان فذهبوا اليها وسكنوها وحدثونا ان السيد محمداً الحاج
لما دخل تلمسان قال وجدت في بعض كتب الحدان اتي ادخل تلمسان
فظننت اتي ادخلها دخول الملوك فدخلتها كما ترون ولم يزل بها الى ان توفي
رحمه الله بعد الثمانين ودفن بضريح الامام السنوسى رضى الله عنه ولما توفي
مولانا الرشيد رحمه الله رجع اولاده واقاربه لفاس فسكنوها باشارة من
السلطان المظفر مولانا اسماعيل قدس الله روحه في الجنان وفي ذلك انشديني
غير واحد من اصحابنا الفاسيين للفيق ابي محمد عبد الوهاب ابن العلامة سيدي
العربي الفاسي من قصيدة له يمدح بها اهل زاوية الدلاء

اهل الدلاء اهل نجد وارضهم ارض رامة

لن يبرح المجد فيهم حتى تقوم القيامة

وعاقبه السلطان الرشيد بن الشريف على ذلك وحرمه من اعطائه وقال له ان
هذا المدح لا يليق الا باهل البيت ومن اللطائف الادبية ان السلطان مولانا
الرشيد رحمه الله لما استولى على اهل الزاوية كما ذكرنا قبل كان ابو عبد الله
محمد المرابط يوماً في مجلسه فانشد السلطان الرشيد معرضاً به

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرا عدواً له ما من صداقته بدا

ففهم ابو عبد الله اشارته فقال له ايد الله الامير ان من سعادة المرء ان يكون
خصمه عاقلاً فاعجب ذلك واستحسن الحاضرون بديته ولطافة منزهه والله
ولى من تولاّه

ذكر الخبر عن قيام ابي الحسن على بن محمد بالسوس

وصنوه ابي حنون وما وقع في ذلك

هو على بن محمد بن الولي الصالح ابي العباس سيدي احمد بن موسى السوسى
السمالى رحمه الله كان بدء امره انه لما ضعف زيدان عن القيام بالامر بالصقع
السوسى وفشل ريحه فيه نبغ هو فدعا لنفسه وجرت نار الرياسة لقرصه وتآلفت
عليه البرابر من بسائط جزولة وحرسا واجتمعت عليه القبائل السوسية واستولى
على تارودانت وعمالتها الى ان اخرجته عنها الفقيه المرباط ابو زكرياء يحيى بن
عبد الله وصفى لابي الحسن القطر السوسى ونفذ به امره وسمعت كلمته ومدّ
يده لدرعة فاستولى عليها ثم مدّ يده لسجلماسة فاستولى عليها وعلى نواحيها
واستحكم امره وتقوى عضده ولم يزل امره بسجلماسة الى ان ثار عليه عقاب
الشائف الاسد الهصور مولانا محمد بن الشريف فاخرجه من سجلماسة بعد
معارك وزلازل يشيب لها الرضيع ثم اخرجته من درعة ايضاً ووقع بينهما
بدرعة حروب عظيمة ولم يزل ابو الحسن قائماً بالسوس الى ان توفى سنة
سبعين والنف وكان رحمه الله لين الجانب محمود السيرة موصوفاً بالعفاف متوقفاً
في الدماء ولما مات خلفه ولده ابو عبد الله محمد بن على ولم يزل قائماً مقام
والده الى ان اقتحم عليه السلطان مولانا الرشيد رحمه الله كما ياتي قبله صقر ابي
الحسن ابغ السوس وتركه لأمس الدابر والملك لله وحده